

## رسالة إحكام الإشعار بأحكام الأشعار

لمحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت 971هـ)

‘The corroboration of the Rules of Poetry’ by Mohammad bin  
Ibrahīm bin al-Ḥanbali al-Ḥalabi al-Ḥanafi

حسن محمد عبد الهادي

محمد يوسف بنات

جامعة القدس المفتوحة

جامعة القدس - أبو ديس

2017/3/16

تاريخ القبول

2017/1/10

تاريخ الاستلام

### ملخص:

قام الباحثان بتحقيق هذا النص النقدي الذي عرض فيه مؤلفه قضية شغلت النقاد في القديم والحديث، وهي تتعلق بموقف الإسلام من الشعر، وقد حققنا هذا النص تحقيقاً علمياً دقيقاً، وتناولنا فيه الحديث عن ثلاثة محاور بالإضافة إلى النص المحقق. أما المحور الأول ففصلنا فيه الحديث عن حياة المؤلف محمد بن إبراهيم بن الحنبلي (ت 971هـ)، واقتصر المحور الثاني على المخطوط من حيث وصف نسخته الفريدة، وبيان أهميته، ومنهج التحقيق. وتناولنا في المحور الثالث آراء النقاد القدامى والمحدثين في قضية الإسلام والشعر وانقسامهم إلى فريقين بين مؤيد ومعارض، عارضين وجهة نظرهم الخاصة في تلك القضية.

### Abstract:

The present article explores a short text extracted from a manuscript, critically addressing an issue that has received much attention by old and contemporary critics, namely, the stance of Islam towards poetry. The article first addresses the autobiography of Radhī id-Dīn Ibn al-Ḥanbalī (died in 971 Hijra). The article then describes the unique version of the manuscript, its importance and the methodology employed for investigation. Finally, the article highlights the views of both old and contemporary critics regarding Islam's view on poetry. The findings show that critics have either intransigent versus lenient stance.

## المحور الأول: سيرة ابن الحنبلي

### اسمه وكنيته ولقبه:

هو الإمام العلامة المؤرخ محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن بن الحسن الحنبلي الحلبي، المعروف بابن الحنبلي، نسبة إلى جده عبد الرحمن الذي عُرف بلقب الحنبلي؛ لأنه تولّى القضاء على المذهب الحنبلي<sup>(1)</sup>.

اتّفقت المصادر التي وجدنا له فيها ذكرًا على هذه التسمية، وقد ذكرت بعض المصادر اسمه مُختَصَرًا<sup>(2)</sup>. أما كنيته فهي: أبو عبد الله، وقد أجمعت المصادر التي ترجمت له على تلك الكنية، ولم نجد له كنية غيرها. أمّا لقبه فهو: رضي الدين، ومن المصادر ما خالف ذلك، فذكر شهاب الدين الخفاجي في كتابيه "خبايا الزوايا"، و"ريحانة الألبا" أن له لقبًا آخر وهو: "شمس الدين"<sup>(3)</sup>.

### نسبه:

انتهى عدد من الذين دونوا تراجم المُصنِّفين إلى أن ابن الحنبلي رَجَعِي تَأْذِي حَلْبِي، نسبة إلى قبيلة ربيعة، أو إلى مساكن ربيعة في أعالي الشّام شمالي سوريّة حيث قرية تأذف<sup>(4)</sup>. وقد ذكر الدكتور نهاد حَسُوْبِي أن ابن الحنبلي أشار إلى نسبته في كتابه "الآثار الرفيعة في مآثر ربيعة"<sup>(5)</sup>.

### مولده:

اتّفقت المصادر في تحديد البلد الذي ولد فيه ابن الحنبلي، حيث ذكرت أنه ولد في حلب سنة (908هـ)<sup>(6)</sup>، وقد انفرد بروكلمان بالقول إنّه ولد سنة (877هـ) في كتابه تاريخ الأدب العربي. ولم تذكر بعض المصادر سنة الولادة أو مكانها، على نحو ما ورد في الكواكب السائرة، وريحانة الألبا، وشذرات الذهب، وديوان الإسلام، وخبايا الزوايا. أمّا محمد راغب الطّبّاخ فلم يذكر السنة التي ولد فيها ابن الحنبلي في كتابه "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء".

(1) مصادر ترجمته: (الغزي، 1979، الكواكب السائرة 42/3-43)، (الخفاجي، 2015، خبايا الزوايا، ص202)، (الخفاجي، دت، ريحانة الألبا 169/1)، (ابن العماد، 1979، شذرات الذهب 365/8)، (الطباخ، 1988، إعلام النبلاء 62/6)، (كحالة، دت، معجم المؤلفين 223/7)، (الزركلي، 1999، الأعلام 302/5)، (بروكلمان، 1995، تاريخ الأدب العربي العصر العثماني (القسم الثامن) 13-12)، (فروخ، 1985، معالم الأدب العربي في العصر الحديث 377-366/1)، (ابن الحنبلي، 1982، قفو الأثر (مقدمة التحقيق)، ص8-17)، (ابن الحنبلي، 1985، رسالة في المتصل والمنفصل (مقدمة المحقق)، ص77-78).

(2) ينظر: (الخفاجي، دت، ريحانة الألبا 169/1)، (الخفاجي، 2015، خبايا الزوايا، ص202).

(3) (الخفاجي، دت، ريحانة الألبا 169/1)، (الخفاجي، 2015، خبايا الزوايا، ص202).

(4) (فروخ، 1985، معالم الأدب العربي 366/1 هامش رقم 1)، (ابن الحنبلي، 1982، قفو الأثر، ص9)، (بروكلمان، 1995، تاريخ الأدب العربي، ص366)، (كحالة، دت، معجم المؤلفين 222/7).

(5) ينظر: (ابن الحنبلي، 1985، رسالة في المتصل والمنفصل، ص77).

(6) (فروخ، 1985، معالم الأدب العربي، ص366)، (ابن الحنبلي، 1982، قفو الأثر (ترجمة المؤلف)، ص8)، (ابن الحنبلي، 1985، رسالة في المتصل والمنفصل، ص77)، (كحالة، دت، معجم المؤلفين 223/7)، (الزركلي، 1999، الأعلام 302/5).

أسرته:

ينحدر ابن الحنبلي من أسرة عريقة في كثير من العلوم، والدليل على ذلك ما أبدعه لنا من علوم في مختلف الفنون، من لغة، ونحو، وصرف، وتفسير، وتجويد، وأصول، ومصطلح الحديث، وطب، وهندسة، وأدب وعروض، وهذا ما سيلحظه القارئ في أسماء آثاره التي أريت على السبعين. وقد أفرد ابن الحنبلي في ثانيا كتبه جانبا لتراجم عدد من أفراد أسرته الذين كانوا من العلماء الجلّة، وبخاصّة والده، وإخوته، وعمه، وأبناء أعمامه، والقارئ لكتابه "دُرّ الحبّ في تاريخ أعيان حلب" سيدج ترجمات كثيرة لأفراد أسرته، وعثر الباحثان على بعض هؤلاء في كتاب "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء".

شيوخه:

تتلمذ ابن الحنبلي على يد عدد من الشيوخ الأجلاء، ونهل عنهم جملة من العلوم بإتقان، حتى أصبح أبرز علماء عصره معرفة وثقافة، وأكثرهم تأليفاً وتصنيفاً، والفضل في المقام الأول يعود إلى والده، وجملة من شيوخ حلب، بالإضافة إلى العلماء الذين التقى بهم في دمشق ومكة عندما رحل إليها حاجاً. وقد رصد ابن الحنبلي أسماء مجموعة كبيرة من شيوخه في كتابه "دُرّ الحبّ"، ذاكراً العلوم التي أنقنها على أيديهم، والكتب التي قرأها عليهم. وقد كفانا محقق كتاب قفو الأثر مؤونة تعداد أسمائهم (1).

وفاته:

توفي الإمام العلامة المؤرّخ محمد بن إبراهيم بن يوسف الحنبلي في حلب، وذلك يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الأولى سنة (971هـ)، وذكر نجم الدين الغزي أنه توفي في الخامس من جمادى في السنة نفسها (2). أمّا شهاب الدين الخفاجي، فلم يحدّد تاريخ وفاته في كتابيه "ريحانة الألبا" و"خبايا الزوايا".

هذا وقد رثاه تلميذه أحمد بن محمد بن الملا، وقد كتب على قبره قوله (3): [الخفيف]

قَبْرُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُفْتِي الْبَرَايَا      الْإِمَامُ الرُّضَيُّ ذِي الْأَدَابِ  
حَلَّ فِي قَبْرِهِ، فَقُلْتُ عَجِيْبًا      بَحْرُ عِلْمٍ وَارَاهُ كَفُّ ثُرَابِ

(1) انظر: (ابن الحنبلي، 1982، قفو الأثر، 9-10).

(2) (الغزي، 1979، الكواكب السائرة 43/3).

(3) (ابن الحنبلي، 1982، در الحبيب 10/1).

ترك لنا ابن الحنبلي إرثاً ضخماً من المؤلفات التي أربت على السبعين في مختلف فنون العلم والمعرفة، منها ما هو مطبوع، ومنها ما زال مخطوطاً، ولا بأس أن نذكر منها ما يستحق الاطلاع عليه، إذ حققها بعض الباحثين ونالوا بها درجة الماجستير أو الدكتوراه، مثل: "عقد الخلاص في نقد كلام الخواص"، و"بحر العوام فيما أصاب فيه العوام"، و"سهم الألفاظ في وهم الألفاظ"، و"قفو الأثر في صفو علوم الأثر"، و"در الحبيب في تاريخ أعيان حلب". وله ديوان شعر ضخم غير محقق، جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن محمد بن الملا. منه نسخة خطية موجودة في السلطانية بمصر ضمن مجموع برقم (85)، وغيرها من المؤلفات. ومن يريد الزيادة فعليه أن يرجع إلى كتاب قفو الأثر، فقد عددها محقق هذا السفر الجليل.

#### المحور الثاني: حول المخطوط

##### وصف النسخة الوحيدة:

اعتمدنا في تحقيق هذا النص على نسخة فريدة وحيدة، رقم (1974)، في مكتبة جامعة سلوفاكيا، عدد أوراق النسخة (13) ورقة، ومسطرتها (19) سطراً في المعدل، خطها نسخي معتاد مقروء في غالبه، وجاء عنوان المخطوط كالآتي: "إحكام الإشارات بأحكام الأشعار" لأفضل المتأخرين العلامة محمد بن إبراهيم الحنبلي الحنفي، تغمده الله برحمته، أمين.

تبدأ هذه النسخة بتصدير الرسالة باسم مؤلفها، وفي نهايتها نقرأ الخاتمة الآتية: "وكان الفراغ منها على يد مؤلفه الفقير الأحقر، والحقير الأفقر محمد بن إبراهيم بن الحنبلي الحنفي في أواخر المحرم الحرام من شهور سنة 956هـ. انتهى

وكان الفراغ من تعليقه من النسخة التي بخط المؤلف نهار الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأولى من شهور سنة 981هـ. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأزواجه إلى يوم الدين.

وفي ختام كل ورقة من أوراق المخطوط (تعقيبة)؛ فقد أثبت الناسخ في نهاية ظهر كل ورقة اللفظة التي يبدأ بها وجه الورقة التالية. أمّا الناسخ فلم يذكر اسمه في نهاية النسخة.

وتأتي أهمية هذه النسخة أنها منقولة عن النسخة الأصلية المكتوبة بخط المؤلف نفسه. وهو ما يوضحه قول الناسخ كما سبق أن ذكرنا.

ومن الجدير بالذكر أن النسخة كلها مكتوبة بخط واحد، وثمة استدراقات قليلة جاءت على حواشي النسخة، وهي جزء من النص نفسه.

صحة نسبة المخطوط إلى صاحبه:

جرباً على عادة القدماء في ذكر مؤلفاتهم في ثنايا كتبهم، فقد عثرنا في كتاب "تَرْحُيبُ حَلَبٍ فِي تَارِيخِ حَلَبٍ" على ما يُؤكِّد على صحة نسبة هذه الرسالة إلى صاحبها، وذلك في معرض ابن الحنبلي عن تلميذه زين العابدين بن نعمة الله إبراهيم الرُّومي المشهور بعبّادي جبلي، الذي قدم إلى حلب وقرأ عليه عدداً من الكتب وأثبت ما نصّه: "وقرأ عليّ الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي. وشمسيّة الحساب لحسن بن محمد التيسابوري المعروف بنظام (ت728هـ)، وأشكال التأسيس للسمرقندي، والمعلقات السبع، وتألّفي المسمّى "إحكام الإشعار بأحكام الأشعار" قراءة مُنقّنة، أفصحت عن جودة طبع واقد، إلى ذكاء وقوّة استخراج لدقائق الفوائد"<sup>(1)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أنّ هناك مؤلفاً لابن الجوزي يلتقي مع هذه الرسالة في الاسم، فكلاهما يحملان الاسم نفسه "إحكام الإشعار بأحكام الأشعار"، غير أنّ كتاب ابن الجوزي أكبر حجماً من هذه الرسالة، وهو من الكتب المفقودة، وذكر أنّه يقع في عشرين جزءاً. وذكر بعضهم أنّه مجلّد واحد، وهو خاص بعلم الحديث. والحقيقة هذا ضرب من الوهم، والصحيح أنّه في فنون شتّى، وهو مرتّب على عشرة أبواب فيما يدلّ على مدح الشّعْر وكراهته، وما روي عن الأنبياء، وما سمعه رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، منه، وما تمثّل به الصّحابة، وما روي عن الخلفاء والعلماء والعشّاق والزّهّاد، ومن حفظه في المنام<sup>(2)</sup>.

منهج التحقيق:

قام تحقيق المخطوط على المنهج الآتي ذكره:

- 1- قمنا بكتابة النّصّ حسب الطّريقة الإملائيّة الحديثيّة، وذلك بتشكيل كلّ مقطوعة أو نثقة.
- 2- تخرّيج الشّواهد ومواضع التّمثيل، كالأيات القرآنيّة، والأحاديث الشّريفة، والأبيات الشّعريّة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.
- 3- ذكرنا البحر الشعري للمقطوعات والنّثف والأبيات المفردة.
- 4- شرحنا ما أشكل من معاني الكلمات، واعتمدنا في ذلك على المعاجم العربيّة.
- 5- عرّفنا بأسماء الأماكن والبلدان.

(<sup>1</sup>) (ابن الحنبلي، 1982، درّ الحبيب، 650/1-651).

(<sup>2</sup>) (العلوجي، 1992، مؤلفات ابن الجوزي، ص84).

### أهمية المخطوط:

تأتي أهميته من كونه يتعرّض لقضية تطرّق إليها جملة من العلماء القدماء والمحدثين، وهي تتّصل بالإسلام والشعر، وقد تناولوا فيها موقف القرآن من الشعر، وتناقلوا الأحاديث الشريفة التي قيلت في الشعر والشعراء مدحاً أو ذمّاً. ومن الذين تناولوا هذه المسألة بإسهاب: الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء، وابن رشيق القيرواني<sup>(1)</sup> في عمدته، والمظفر بن الفضل العلوي في كتابه نضرة الإغريض في نصرة القريض وغيرهم.

أما المحدثون، فهم كثر وعلى رأسهم الدكتورة إخلاص عمارة في كتابها "الإسلام والشعر - دراسة موضوعية"، و"الإسلام والشعر" للأستاذ الدكتور سامي العاني، وكتاب "الشعر الإسلامي في صدر الإسلام" للدكتور عبد الله الحامد، و"شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه" للدكتور يحيى الجبوري.

### المحور الثالث:

#### الإسلام والشعر

عند الحديث عن موقف القرآن الكريم من الشعر، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الآيات الكريمة التي تناولت موضوع الشعر بصفة عامّة، ولم تتحدّث عنه من حيث كونه فنّاً، وإنّما جاء ذلك للتفريق بين القرآن والشعر من خلال نفي الصلّة بينهما، ونفي صفة الشاعريّة عن الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم. امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله جلّ شأنه في مقام آخر: ﴿وَمَا عَلَّمَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾<sup>(3)</sup>.

وذهبت الدكتورة إخلاص عمارة إلى أنّ الآيات القرآنية التي تحدّثت عن الشعر تنحصر في ثلاث قضايا: الأولى تتعلّق باتّهام الكفار للرّسول، صلّى الله عليه وسلّم بأنّه شاعر، فنفي القرآن تلك التهمة الباطلة، وثانيها يتصل بادعاء الكفار بأن القرآن شعر، وقد ردّت الآيات البيّنات ذلك، أما الثالثة فتتمحور حول الحديث عن الشعراء وسلوكهم<sup>(4)</sup>.

وبالعودة إلى النصوص القرآنية فإنّنا نجد موضعاً واحداً تحدّث فيه القرآن عن الشعر صراحة من حيث فنّيته، فقال ربّ العزّة في محكم التنزيل ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) الحسن بن رشيق. أديب، نقّاد، رحل إلى القيروان، ثم إلى جزيرة صقلية. له كتب في النقد، مثل كتاب العمدة، وقراءة الذهب، وديوان شعر مطبوع، وأنموذج الزمان في شعراء القيروان-مطبوع. توفي سنة 463هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 191/2).

(2) سورة الحاقة، الآية 41.

(3) سورة يس، الآية 69.

(4) (إخلاص عمارة، 1992، الإسلام والشعر - دراسة موضوعية، ص 13).

(5) سورة الشعراء، الآيات 224-227.

وقريب من هذا ما عرضه لنا الدكتور سامي مكي العاني من خلال كتابه الإسلام والشعر، الذي أكد فيه على موقف الإسلام الواضح من الشعر، إذ إنّه لم يحارب الشعر لذاته، وإنّما حارب المنهج الذي سار عليه الشعر والشعراء<sup>(1)</sup>.

وهذه الآيات تلخّص لنا موقف القرآن من الشعر، فهو لا يُحرّمه، وإنّما يميّز بين فريقين من الشعراء: الأوّل مذموم مغضوب عليه؛ لأنّه حاد عن طريق الحقّ والصواب، واستخدم فنّ الشعر في ذكر ما ينافي تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ويدعو إلى المجون والفحش والرذيلة. أمّا النوع الثاني: فمرغوب فيه مرضي عنه، وأصحابه محمودون؛ لأنّهم اتجهوا بشعرهم إلى قول كلمة الحقّ ونصرتة، وجاءت موضوعات أشعارهم منسجمة مع ما دعا إليه الإسلام<sup>(2)</sup>.

#### موقف الرسول، صلّى الله عليه وسلّم من الشعر وصحابته

تزخر السيرة النبويّة العطرة بالأمثلة والشواهد الحيّة التي تكشف عن مواقف متباينة له صلّى الله عليه وسلّم من الشعر قولاً وفعلًا، والأحاديث الشريفة التي تظهر موقف النبيّ -عليه السلام- من الشعر والشعراء كثيرة، من حيث القبول والاستحسان، أو الرّفص والشّتان.

ومن الأهمية بمكان الوقوف على رأي النقاد القدماء حول ظاهرة ذمّ الشعر وكرهه، ولا بدّ لنا من الوقوف عند رأي ابن رشيّق القيرواني، الذي عقد باباً في الرّدّ على من يكره الشعر، واستعرض الأحاديث الشريفة في ذمّ الشعر ومدحه، وساق من الأدلة ما يثبت على استحبابه عليه السلام له، ومن ذلك قوله: "إنّما الشعر كلام مؤلّف فما وافق الحقّ منه فهو حسن، وما لم يوافق الحقّ فلا خير فيه"، وقوله: "إنّما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب"<sup>(3)</sup>.

وفنّد ابن رشيّق مزاعم الذين لم يفهموا الآية ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلَّا الَّذِينَ أَمْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ على الوجه الصحيح، وفسّروا الآية تفسيراً في غير محلّه، وجنحوا نحو الخطأ في فهمها، وعالجوا المسألة في غير ما أريد لها، وبرهنوا من خلالها على كراهية القرآن للشعر، وكذلك الرسول الكريم، فبيّن أن المقصود بهذا النصّ هم شعراء المشركين الذين هجوا رسول الله، وألحقوا به الأذى، ونبّه على الاستثناء الوارد في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ أَمْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فعنى به الشعراء المسلمين الذين ناصروا الرسول الكريم، وردّوا على معسكر المشركين من قريش، وأفحموا شعراءهم. وفيهم قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: "هؤلاء النفر أشدّ على قريش من نضح النّبل"<sup>(4)</sup>. وخلص ابن رشيّق إلى القول:

(1) (العاني، 1983، الإسلام والشعر، ص 42).

(2) ينظر: (العاني، 1983، الإسلام والشعر، ص 45)، (إخلاص عمارة، 1992، الإسلام والشعر-دراسة موضوعية، ص 24)، (الحامد، 1980، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، ص 34).

(3) (ابن رشيّق، 1988، العمدة 85/1).

(4) (ابن رشيّق، العمدة 92/1).

"قلو أنَّ الشَّعر حرام أو مكروه، ما اتَّخذ النَّبيُّ، صَلَّى الله عليه وسلَّم، شعراء يثيبهم على الشَّعر، ويأمرهم بعمله، ويسمعه منهم"<sup>(1)</sup>.

ولصاحب نضرة الإغريض كلام<sup>(2)</sup> يطول عن مدح الرُّسول الكريم للشَّعر، ولآراء الصَّحابة الذين شجَّعوا على تعلُّم الشَّعر وروايته، كقول ابن عبَّاس: "تعلَّموا الشَّعر فإنَّه أوَّل علم العرب، وهو ديوان الأدب"، وقول أبي بكر: "علِّموا أولادكم الشَّعر، فإنَّه يعلمهم مكارم الأخلاق". وجاء رأي صاحب الكتاب منسجماً مع ما ذهب إليه ابن رشيَّق في تفسير الآية الآنفه الذِّكر، موضِّحاً أنَّ من ذهب إلى "ذمِّ الشَّعر وتنقُّصه لسوء فهمه، فإنَّما هو متمسِّك بشيْء لم يعرف تأويلها، مستند إلى حُجج لم يعلم تعليلها، خابط في عشواء مُظلمة"<sup>(3)</sup>. وقد ردَّ مؤلف الكتاب على أولئك النُّفر الذي أخطأوا في فهم معاني الآيات القرآنية، وأحاديث الرُّسول، صَلَّى الله عليه وسلَّم، التي وردت في باب ذمِّ الشَّعر. وقد عاش النَّبيُّ، صَلَّى الله عليه وسلَّم في بيئة علا فيها سهم الشَّعر، وأصبح الشُّغل الشَّاغل للناس في ذلك الزَّمان، فكان من الطبيعي أن يتأثَّر به، ويعتني به، ويستمتع له، ويستحبُّ بعضه، شأنه في ذلك شأن أي عربيٍّ يميل إلى الشَّعر<sup>(4)</sup>. ولهذا قال عليه السَّلام "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل حنينها"<sup>(5)</sup>.

ومن خلال استعراض الأحاديث الشَّريفة التي تظهر في هذا المخطوط وغيره من كتب الحديث والسيرة والأدب، التي أظهر فيها الرُّسول، صَلَّى الله عليه وسلَّم، موقفه من الشَّعر والشُّعراء، نجد أنَّها تشتمل على مواقف واضحة وآراء دقيقة، بيَّن فيها رأيه الصَّريح في الشَّعر، أو وجَّه بعض الأبيات مصحِّحاً مقوِّماً من ملكته النِّقدية ببصيرته النَّاقبة، ومعرفته بمرامي الكلام، فكان يطلب استبدال كلمة في البيت، أو استجاءته لبعضه ومدحه وأثاب عليه، أو أظهر ذائقة خاصَّة في إنشاد أطراف أبيات بعينها<sup>(6)</sup>.

وللذكورة إخلاص عمارة تفصيل دقيق لمواقف الرُّسول، صَلَّى الله عليه وسلَّم، من الشَّعر، وحصرتها في ثلاثة محاور: ما ورد في كراهته للشَّعر، وما جاء حيادياً استحسَن من خلاله ما كان موافقاً لتعاليم الإسلام، وحارب ما كان منافياً للدين، أمَّا الأخير فاستعرضت فيه ترحيبه للشَّعر وإثابته عليه<sup>(7)</sup>.

(1) (ابن رشيَّق، 1988، العمدة، 92/1).

(2) ينظر: (العلوي، 1995، نضرة الإغريض، ص352-388).

(3) (العلوي، 1995، نضرة الإغريض، ص360).

(4) (العاني، 1983، الإسلام والشعر، ص46).

(5) (ابن رشيَّق، 1988، العمدة، 91/1).

(6) (العاني، 1983، الإسلام والشعر، ص51).

(7) (إخلاص عمارة، 1992، الإسلام والشعر-دراسة موضوعية، ص31-39)، (الحامد، 1980، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، ص33).



نخلص من ذلك إلى القول: إنَّ الرسول، صَلَّى الله عليه وسلَّم، كان مُنْزَهًا عن إنشاء الشَّعر، لا بل إنشاده أيضًا، غير أنَّه كان يتمثَّل ببعضه مكسورًا، ولربَّما اكتفى برواية صدر البيت الواحد وسكت عن عجزه، أو طلب من أحد الحاضرين في مجلسه أن يروي له بعض الشَّعر الذي يُجبُّ سماعه. فهذه العناصر تدلُّ على تقديره للشَّعر الذي اتَّخذ منه سلاحًا للثَّيل من المشركين. وعند الحديث عن موقف الخلفاء الراشدين والصَّحابة من الشَّعر، فإننا نجد مواقفهم تتسم مع مواقف رسول الله، صَلَّى الله عليه وسلَّم، كيف لا وقد كانوا جميعًا شعراء، ولعلَّ أكثرهم شعرًا الإمام علي بن أبي طالب الذي جمع شعره في ديوان مستقل، وكان منهم النَّاقد للشعر كعمر بن الخطاب، وكانوا يتذوقون الشَّعر ويستشُدُّونه في مجالسهم، وقد أفرد ابن رشيقي في العمدة بابًا خصَّه للحديث عن أشعار أولئك الخلفاء، وأثبت في الباب الذي سبقه لعدد من آراء الخلفاء في الرَّدِّ على من يكره الشَّعر، كقول علي بن أبي طالب: "الشَّعرُ ميزان القوم"، وقول عمر بن الخطَّاب: "كان الشَّعرُ علم قوم لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه"<sup>(1)</sup>، وكتب لأبي موسى الأشعري حائًا إيَّاه على تعلم الشعر بقوله: "مُرَّ من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدلُّ على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب"<sup>(2)</sup>.

#### توظيف الشَّعر في الإسلام:

شاعت في أوساط الباحثين المحدثين بعض الدعوات التي تقول بدم الإسلام للشَّعر، استنادًا إلى ما تناقله القدماء عنه صَلَّى الله عليه وسلَّم من أحاديث تذرُّ الشَّعر، وذهب بعضهم إلى القول بضعف تيار الشَّعر في صدر الإسلام، إذ انصرف العرب في أول الإسلام عن الشَّعر وانشغلوا بالدين الجديد<sup>(3)</sup>. وكلا الفريقين مخطئٌ فيما ذهب إليه، فهذه الدعوة مرفوضة، وتلك الحجج لا تقوم على ساق؛ لأنَّ الرسول، صَلَّى الله عليه وسلَّم، قد شجَّع الشَّعر واستمع إليه وأثاب عليه، على نحو ما ذكرنا آنفًا.

ولو كان الأمر كما ظنَّ هؤلاء لما شجَّع الرسول، صَلَّى الله عليه وسلَّم، الشَّعر في بداية الدعوة الإسلامية، ولما اتَّخذ سلاحًا للدِّفاع عن الدين، فقد كان عليه السلام عارفًا بالشَّعر، وعالمًا بمدى تأثيره وقوَّته، وبخاصَّةً عندما شرع شعراء قريش في هجائه، أمثال: عبد الله بن الزُّبَيْر، وضرار بن الخطَّاب الفِهْرِي، والحارث بن هشام، وأخذوا يطلقون سهام ألسنتهم من أجل الثَّيل من أعراض المسلمين، وهذا ما يؤكِّد عليه دعاؤه صَلَّى الله عليه وسلَّم على عمرو بن العاص، إذ كان

(1) (الجمحي، 1974، طبقات فحول الشعراء 24/1).

(2) ينظر: (ابن رشيقي، 1988، العمدة 82/1-91).

(3) ينظر: (العاني، 1983، الإسلام والشَّعر، ص 18-19)، (الحامد، 1980، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، ص 68-82).

يهجوه قبل إسلامه، فكان عليه السلام يتألم من ذلك، ولهذا توجه إلى الله بالدعاء قائلاً: "اللَّهُمَّ إِنَّ عمرو بن العاص هجاني، وهو يعلم أنني لست بشاعر، اللهم فاهجه والعنه عدد ما هجاني"<sup>(1)</sup>. وكان لذلك الشعر أثر كبير في نفسه صلى الله عليه وسلم، وفي نفوس المسلمين كذلك، فقد أثر ذلك الشعر على الدعوة الإسلامية بشكل كبير، ونفّر منها الناس، وبخاصة عندما ذاع وانتشر بين القبائل العربية التي لم تسمع عن الإسلام، مما أفسد على المسلمين عملهم وأضعف دعوتهم في بداية الأمر<sup>(2)</sup>.

ولهذا قرّر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يتخذ السلاح نفسه الذي اتّخذه المشركون للنيل منه ومن دعوته، من أجل تقوية الفرصة عليهم، فاختر حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ليردّوا على شعراء الكفار، وينصروه بالسنتهم، كما نصروه بأسلحتهم، وقد أنثى عليه السلام على أولئك النفر من الشعراء، وثمن دورهم في محاربة المشركين، وشجّعهم على الاستمرار في ذلك النهج<sup>(3)</sup>.

وهكذا انبرى شاعر الرسول حسّان وأقرانه من الشعراء للردّ على تلك الهجمات بقوة، ودافعوا بالكلمة البليغة عن حقهم في الردّ على أولئك الذين تناولوا بالسنتهم على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتصدّوا لهم، وشفوا قلوب المسلمين، ونصروا كلمة الحق، وذبّوا عن دينهم أذى المشركين. فهذه القرائن مجتمعة تدلّ على أهمية الدور الذي قام به الشعراء في الدفاع عن الدين، وتظهر مواكبة الشعر للدعوة الإسلامية من خلال تسجيل أحداثها، والتغني بانتصاراتها، ومنافحة أعدائها، وثناء شهدائها. وما كان ذلك ليكون لولا تشجيع الرسول، صلى الله عليه وسلم، وللشعراء، وهذا ما ينفي صحة الرأي القائل بمعارضته عليه السلام للشعر، وهذا ما أكّدت عليه الدكتورة إخلاص عمارة بقولها: "ولو كان الرسول يكره الشعر، أو لا يعرفه حق المعرفة، ما كان ليعقد تلك المجالس الأدبية لروايته وإنشاده، ويسمح لشعرائه بالردّ على شعراء الوفود أو شعراء قريش، وما كان ليرى فيه سلاحاً مكملاً لأسلحة القتال، وما كان ليبيدي تلك الآراء الصادقة، ويظهر ذلك الإعجاب الصادق، ولا كان يستجيب لمن اتّخذ الشعر وسيلة للاعتذار وطلب العفو"<sup>(4)</sup>.

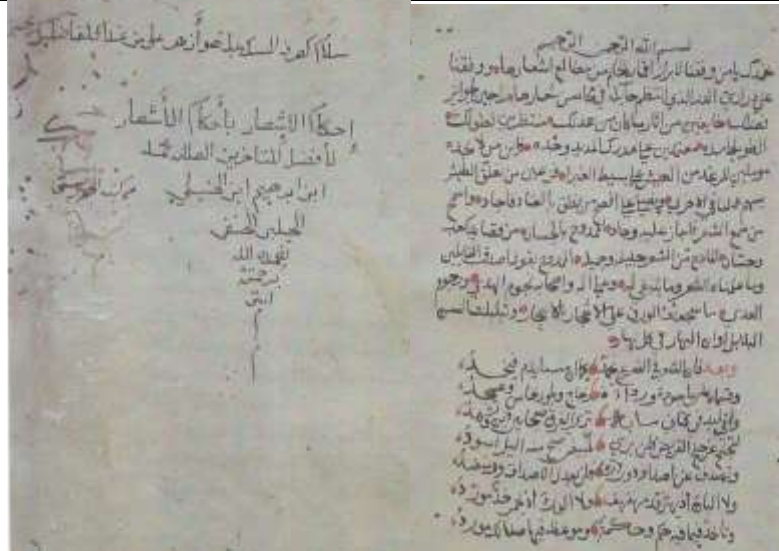
(<sup>1</sup>) (العاني، 1983، الإسلام والشعر، ص 67).

(<sup>2</sup>) (العاني، 1983، الإسلام والشعر، ص 67).

(<sup>3</sup>) (العاني، 1983، الإسلام والشعر، ص 68).

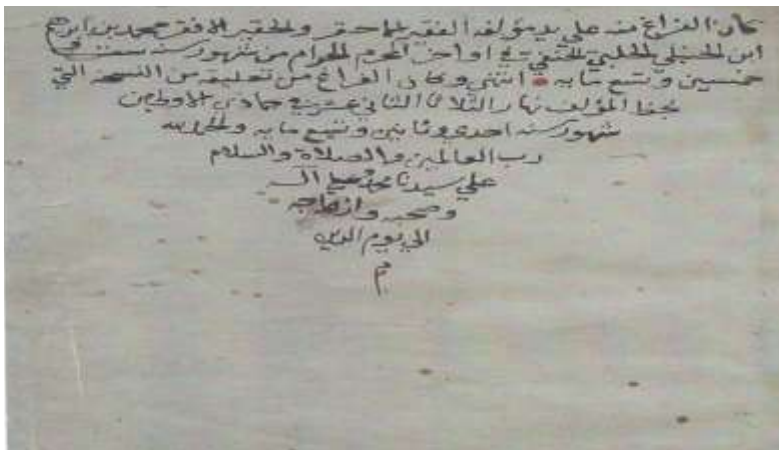
(<sup>4</sup>) (إخلاص عمارة، 1992، الإسلام والشعر - دراسة موضوعية، ص 61).

رسالة إحكام الإشعار بأحكام الأشعار لمحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت 971هـ)



صفحة العنوان

الورقة الأولى من المخطوط



الورقة الأخيرة من المخطوط

إحكام الإشعار بأحكام الأشعار

لأفضل المتأخرين العلامة محمد بن إبراهيم بن الحنبلي الحلبي الحنفي

تغمده الله برحمته

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من وفّقنا لإبراز أعمار الحكم من مطالع أشعارها، ووفّقنا على دراري الدرّ الذي انتظم حائكه في محاسن شعارها، راجين لجوائز فضلك، خائفين من آثار ما كان من عدلك، مُنتظرين لطولك الطويل أمدّه، معتمدين على مدرك المديد وجده، فأين من لا يجده مؤملين للرّعد من العيش على بسيط الغبرا، فزعين من تعلّق الطّيش بسهم عملنا في الأخرى، ونُصليّ على أفصح من نطق بالضّاد فأجاد، وأسمح من سمع الشّعْر فأجاز عليه وجاد، الممدوح بالِحسان، من قصائد كعب وحسان<sup>(1)</sup>، المادح من الشّعْر جليله وجميله، الممدوح بقول أصدق القائلين، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾<sup>(2)</sup>، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، ورجوم العدا، ما سجت الوزق على الأشجار بالأسحار، وتبلبلت ألسن البلابل أوان البهار في كلّ نهار.

[الطويل]

وَبَعْدُ فَإِنَّ الشَّعْرَ فِي الشَّرْعِ يُحْمَدُ	كَمَا أَنَّ مِنْهُ مَا يُدْمُ فَيُخْمَدُ
وَقِسْمَاهُ شَرْعًا جَوْدَةً وَرَدَاءَةً	رُجَاً وَبَلُورَ نَحَاسٍ وَعَسْجَدُ
وَأَنِّي لَمُبْدٍ فِي كِتَابِي مَا بِهِ	تَرَى الْفَرْقَ صُبْحًا بَيْنَ دَيْنٍ وَتَشْهَدُ
لِنُجْحٍ عَنْ جُنْحِ الْقَرِيضِ فَلَنْ يُرَى	لِمُبْيَضٍ صُبْحٍ مِنْهُ أَلِيلُ أَسْوَدُ
وَتَصْنَدُفُ عَنْ أَصْدَافِهِ دَوْرُ دُرِّهِ	فَلَنْ يَعْدِلَ الْأَصْدَافَ دُرٌّ مُنْصَدُ
وَلَا الْبَانُ إِذْ يَهْتَزُّ قَدْ مَهْفَهْفُ	وَلَا الْوَرْدُ إِذْ يَحْمَرُّ خَدٌّ مُوَرَّدُ
وَتَأْخُذُ فِيمَا فِيهِ حُكْمٌ وَحِكْمَةٌ	وَمَوْعِظَةٌ فِيهَا صَفَا لَأَكْ مَوْرِدُ
وَجُهِدْ وَمَدَحْ فِيهِمَا أَنْتَ صَادِقُ	وَتَلَبَّ وَقَدْ حَصَرَ بِالشَّرْعِ يُقْصَدُ

(1) يشير إلى الشعارين: كعب بن مالك، وحسان بن ثابت.

(2) سورة ياسين، آية 69. علل السيوطي تنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر، فقال: "إن أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض، وصناعة الإيقاع، إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة؛ فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع، والإيقاع ضرب من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله، صلى الله عليه وسلم". (السيوطي، ديت، المزهر في اللغة والأدب 470/2).

وإِشَادُ ذِي غِيٍّ وَتَحْذِيرُ ذِي هَوًى      وَإِخْمَادُ نَارٍ وَقُدْهَا لَيْسَ يَحْمَدُ  
وَصَالِحٌ أَغْرَضَ لَهَا مِنْكَ صَاحٍ إِنْ      عَزَمْتَ عَلَيْهَا سَهْمٌ عَزِمَ مُسَدَّدُ

وهاأنذا سعي غير ملوم فيما أروم، وأفصح عما لشجرة الشعر المحمود<sup>(1)</sup> والمذموم من أروم<sup>(2)</sup>، مُرَصَّعًا لتأليفي بفصوص النصوص والأخبار، مُحَبَّرًا لترصيفي بمأثور آثار الأخبار، مؤدَّنًا بما يُحْمَدُ فيقتفي من مطالعه إلى قوافيه، أو يُدَمُّ فيكتفي عن مطالعة قوافيه وخوافيه<sup>(3)</sup>، أملًا لإهام الصواب، عاملاً رجاء الثواب، مُسَمِّيًا هذا الكتاب النفيس، والخطاب الأنيس، "إحكام الإشعار بأحكام الأشعار"، راجيًا ممن عثر فيه على عثرة أن يعذُرني، فكم لي من بسط عذرة. وقد رتبته على مُقدِّمة وثلاثة فصول وخاتمة يسر إليها الوصول.

أما المُقدِّمة، ففي حقيقة الشعر ومعناه، ومفهومه ومؤداه، وأما الفصل الأول، ففي نصوص تُشعر في حق بعضه بالمدح، وفي حق البعض الآخر بالقُدْح، وأما الفصل الثاني، ففيما يُشعر بخصوص المدح، وأما الفصل الثالث، ففيما يُشعر بخصوص القُدْح، وأما الخاتمة، ففي تشنيف السمع، بما كان من حُكم السجع.

#### المقدمة في حقيقة الشعر ومعناه ومفهومه ومؤداه

اعلم أنَّ الشعر في الأصل هو العلم الدقيق، ومنه: لَيْتَ شِعْرِي<sup>(4)</sup> في مثل قول الشاعر<sup>(5)</sup>:

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبْيَنَنَّ لَيْلَةً      بَوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرَّ<sup>(6)</sup> وَجَلِيلُ<sup>(7)</sup>  
وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مُجَنَّةٍ      وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

(1) جاء بإزاء هذا على الحاشية: الهمز فيه أصل: الشجرة.

(2) أروم: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، وميم؛ بلفظ أرومة، أو مضارع رام يروم فأنا أروم: وهو جبل لبني سليم. (الحموي، 1984، معجم البلدان 162/1).

(3) القوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح. القاموس (قدم). الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه، خفيت، أو هي الأربع اللواتي بعد المناكب، أو هي سبع ريشات بعد السبع المقدمات. (الفيروزآبادي، 2009، القاموس المحيط، خفي).

(4) وشعرت بالشيء بالفتح أشعر به شعرا: فطنت له. ومنه قولهم: ليت شعري، أي ليتني علمت. (الجوهري، 1956، الصحاح 699/2 شعر).

(5) ورد البيتان دون نسبة في كتاب: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، 143/4. وهما في الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. وفي الجليلين يقول بلال بن حمادة وقد هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فاحتوى المدينة. (الحموي، 1984، معجم البلدان 315/3). والبيتان في (الذهبي، 1985، سير أعلام النبلاء 354/1). وقد تمثل بهما بلال. والبيتان لمالك بن الريب.

(6) الإذخر: نبت، الواحدة إذخرة. (الجوهري، 1956، الصحاح 663/2 (نخر).

(7) الجليل: نبت بوادٍ، أي بوادي مكة. مجنة وشامة وطفيل: مواضع بمكة. جبال مشرفة على مجنة على بريد من مكة. (الحموي، 1984، معجم البلدان 315/3 + 37/4).

وأما في الاصطلاح: فهو كلام له وزنٌ عربي وتقفية مقصودان، وعلى هذا فليس. فيشعر ما لم يثبت له مجموع الوزن والتقفية، ولا ما يثبت له، ولم يقصدا جميعا حتى أن نصف البيت ليس من الشعر في شيء، لعدم التقفية، بناءً على أن القافية إنما تكون في آخر البيت؛ لأنها من آخر ساكن فيه إلى أول ساكن يليه، مع المتحرك الذي قبله. والبيت الواحد يكون من الشعر لا محالة، خلافاً لمن ادعى عدم تحقق التقفية إلا بأكثر من البيت الواحد على ما فيه.

وأما الرجز فشعر خلافاً للأخفش<sup>(1)</sup> في مشطوره ومثوويه، فإنهما ليسا بشعر عنده، وقيل خلافاً له فيه كله، والأول هو الأصح. وأما ما له وزن خارج عن أوزان العرب المشهورة، وهي التي تعرض لها العروضيون في كتبهم، فليس بشعر، لعدم كونه ذا وزن عربي، على ما أشرنا إليه خلافاً للرمخسري<sup>(2)</sup>، حيث يعدّه شعراً، إذا كان كلاماً عربياً، وحينئذ فمن الشعر عنده مثل قولنا مع تضمين مصراع حضرة مولانا جامي<sup>(3)</sup> قدس سره العزيز [مجزوء الكامل]

لِنَلْأَ إِلَى رَبِّ الْوَصَا	لِ تَوْصُلُ رَفْعِ الْغَشَا
لِنَرَى مُشَاهِدَةَ الْجَمَا	لِ كَمَا تَرُومُ وَمَا نَشَا
لِزَلَالٍ وَصْنِكَ مَوْقِعِ <sup>(4)</sup>	فَعَلَى حَشَايَ فَجَذْبُهُ
نَفَحَاتُ وَصْنِكَ أَوْقَدَتْ	جَمَرَاتِ شَوْقِكَ فِي الْحَشَا

ومثل قولنا:

لَوْلَا سُبُوءُ فَضْلِكَ يَا رَبِّ لَمْ أَكُنْ	فِي سَابِغَاتِ فَضْلِكَ أَحْمِي وَأَحْفُظُ
كَمْ جُرْمَةٍ صَرَفَتْ عَيْنًا عَنَّا	عَنِّي أَلَا قَصْنُ تَطْوِي جَيْنَ الْحُظِّ
لَحْظِي لَهُ كَثِيرُ دُنُوبٍ وَهَكَذَا	لَقُظِي قَصْنُ مَقَالِي مَا دُمْتُ أَلْفُظُ

(1) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط. نحوي، عالم باللغة والأدب، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. من أهم كتبه: تفسير معاني القرآن، وشرح أبيات المعاني، والاشتقاق، ومعاني الشعر، والقوافي. توفي سنة 215 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 102/3).

(2) محمود بن عمر الخوارزمي، جار الله. من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. له كتب عديدة منها: أساس البلاغة، والكشاف، والمفصل، والقسطاس في العروض، والمستقصى في الأمثال وغيرها. توفي سنة 538 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 178/7).

(3) نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي الإمام العارف بالله تعالى. ولد بجام من قصبات خراسان، واشتغل بالعلوم العقلية والنقلية فأتقنها، كان أعجوبة دهره علما وعملا وأدبا وشعرا. وله مؤلفات جمّة منها: شرح نصوص الحكم لابن عربي، وشرح الكافية لابن الحاجب، وله كتب بالفارسية، ورسالة في المعنى والعروض والقافية. توفي سنة 898 هـ. (ابن العماد، 1979، شذرات الذهب 360/7-361)، (صالحية، 1993، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع 40-39/2).

(4) جاء بآزانه: أي موقع عظيم في القلوب منه.

وَاصْرِفْ زِمَامَ تَفْسِيرِ غِيٍّ هَوَىٰ اهْوَىٰ  
إِذْ جُرْمَةُ النَّفْسِ مِنَ الرَّجْسِ أَغْلَطُ  
فِي مَرْقَدِ الْفُصُورِ أَظْلَمْنَا مُقَامُنَا  
كَمْ ذَا نُطِيلُ ذَلِكَ وَالشَّفَتْ مُوقِظُ  
ومثل قولنا:

أَلْقَى الْحَبِيبُ نَارًا فِي الْقَلْبِ حِينَ سَارَا  
حَتَّى أَعَادَ مِثْلِي مِنْ رُومَةِ الْأَسَارَا  
يَا ظَالِمًا سَقَانِي جَامِي وَرَزَعَ سَعْدِي  
فِيهِ صَفَا مُدَامِي لَمَّا سَقَى جَهَارَا  
ثُمَّ انْتَنَى فَأَضْحَى ضَوْءُ النَّهَارِ لَيْلًا  
مِنْ بَعْدِ أَنْ لَيْلِي أَضْحَى بِهِ نَهَارَا  
تَاللهِ لَسْتُ أَشْلُو عَنْهُ بِنَقْدِ مَالٍ  
كَأَلَّا وَلَا حَبَانِي إِسْكَندَرَ وَدَارَا

ومثل قولنا من الدوبيت<sup>(1)</sup> وهو أحد الفنون السبعة:

يَا بَدْرُ ظَلَامُنَا إِذَا انْجَنَحَ ظَهْرُ  
يَا شَمْسُ نَهَارِنَا إِذَا الصُّبْحُ بَهْرُ  
إِكْسِيرُ لَقَاكِ فِي ضِيَاءٍ وَدُجَى  
وَاقِي فَوْقِي لَنَا شَمْسٌ وَقَمَرُ

ومثل قولنا من بحر السُّلْسِلَةِ<sup>(2)</sup> في مطلع قصيدة:

لَا حَتَّ بِجَمَالٍ فَأُورِثْنِي بِإِبَالٍ  
مَنْ لَوْ خَطَرْتُ لَا تَزَالُ تَخْطُرُ بِالْبَالِ  
مِنْ وَجَنَّتْهَا الْوَرْدُ وَالْعُيُونُ أَقْاح  
مِنْ عُزَّتْهَا الصُّبْحُ وَالْمَسَاءُ هُوَ الْخَالِ<sup>(3)</sup>

وأما السَّجْعُ فهو في النَّثْرِ كَالْقَافِيَةِ فِي الشَّعْرِ؛ وذلك لِأَنَّ الْقَافِيَةَ جُزْءٌ آخِرٌ مِنَ الْبَيْتِ، لَهُ حَدٌّ مَخْصُوصٌ عَلَى مَا عَلِمْتَ، وَالسَّجْعُ هُوَ الْكَلِمَةُ الْآخِرَةُ مِنَ الْفَقْرَةِ، بِاعْتِبَارِ مُوَافَقَتِهَا لِلْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَقْرَةِ الْآخَرَى فِي الْحَرْفِ الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّوِيِّ مِنَ الْقَافِيَةِ. وَيُقَالُ لِلْسَّجْعِ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ قَاصِلَةٌ<sup>(4)</sup>، وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ السَّجْعُ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ الْمَنْعُ دَفْعًا لِإِبْهَامِ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ الَّذِي هُوَ هَذِيرُ<sup>(1)</sup> الْحَمَامِ كَمَا قِيلَ<sup>(2)</sup>. [الطويل]

(1) لفظ مركب من كلمتين: ذو تعني شعرا مؤلفا من بيتين اثنين. وقيل: إن أصل اللفظ: ذو بيت، فحرف إلى ذو بيت. ورأى الدكتور مصطفى جواد أن العكس هو الصحيح. (إميل يعقوب، 1991، المعجم المفصل، ص240).

(2) (إميل يعقوب، 1991، المعجم المفصل، ص271-272). وبحر السلسلة: نوع من الشعر العربي المتأثر بالعامية، وهو ينظم بيتين بيتين وتكون القافية مشتركة في أشطره ما عدا الشطر الثالث. (إميل يعقوب، 1991، المعجم المفصل، ص271-272).

(3) هذان البيتان قالهما المؤلف ابن الحنبلي ضمن أربعة وعشرين بيتًا، وردا في كتابه در الحلب 1/ 116. وقد قالها في مدح شيخه أحمد بن محمد بن إبراهيم شهاب الدين الإنطاكي الحلبي الحنفي المعروف بابن حمارة. وقد توفي سنة 953هـ. (ابن الحنبلي، 1974، در الحلب 1/ 111).

(4) الفاصلة: هي ما تألف من ثلاثة متحركات فساكن (فاصلة صغرى)، أي: من سبب ثقيل فسبب خفيف، مثل: جبل، أو من أربعة متحركات فساكن، أي من سبب ثقيل فوتر مجموع، مثل: "ضربها". المعجم المفصل 343. وينظر: (الرماني، 2008، النكت في إعجاز القرآن للرماني، ص97-99).

حَمَامَةٌ جَزَعَى حَوْمَةَ الْجُنْدَلِ اسْجَعِي فَأَنْتِ بِمَرَأَى مِنْ سُعَادٍ وَمَسْمَعٍ

وقد يُطلق السَّجْعُ على نفس توافق الكلمتين المذكورتين، فيكون على هذا بالمعنى المصدري.

#### الفصل الأول في نصوص تشعر في حق بعضه بالمدح، وفي حق البعض الآخر بالقدح

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَأْنَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنْهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(3)</sup> الآية<sup>(4)</sup>. ألا ترى أَنَّ الآية قد قسمتهم إلى قسمين: صالحين وطالحين. فالصالحون هم الذين آمنوا واتَّصفوا بسائر الصفات الحسنة المذكورة في الآية، وهم في قول مُدَّاح النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثل: عبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، وحسان بن ثابت، الذي كان رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول له: "أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ"<sup>(5)</sup>، داعياً له بأن يقوِّيه الله تعالى بجبريل، بإمداده إياه بما هو الصَّواب من الجواب، بعد أمره إياه بأن يهجو المشركين إجابة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والطالحون هم الذين سجَّل عليهم سبحانه أَنَّ الغاوين، وهم الضَّالُّون يتبعونهم، وأنَّهم يخوضون في كلِّ لغو، لا يبالون من صدق ولا كذب، كأنَّهم هائمون في كلِّ وادٍ، ذاهبون فيه على وجوههم، لا مقصد لهم أصلاً، وأنَّهم يكذبون في أقوالهم، ويخلفون في مواعيدهم، كما روى صاحب مِرْآة الزَّمَان أَنَّ الفرزدق وفد على هشام بن عبد الملك، فأنشدته<sup>(6)</sup>: [الوافر]

فَبِئْسَ بَجَانِيٍّ مُصَرَّعَاتٍ وَبِئْسَ أَفْضُ أَغْلَاقَ الْخَتَامِ

فقال هشام: أمَّا أنت، فقد أقررت بالرَّئِي، وأنا وليُّ إقامته، ولا بُدَّ من حدِّك، فقال له الفرزدق: منعك من ذلك آية، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى، فذكر الآية ثُمَّ أخذ يقول<sup>(7)</sup>:

[الطويل]

(1) كذا في الأصل، والصواب هديل.

(2) البيت لعبد الصمد بن منصور المعروف بابن بابك. (الزبيدي، 1993، تاج العروس 246/28) دون نسبة، وفيه: "دومة الجندل". وهو اسم موضع.

(3) سورة الشعراء، الآية 224.

(4) ميز ابن رشيقي القيرواني بين ضربيين من الشعر، أحدهما: ما كان لهوا مالكا للقلب صارفا للنفس عن عبادة الله وذكره، فهو المذموم لغلبته على صاحبه. وثانيهما: ما كان شعرا حسنا ناعفا فلا إثم على صاحبه. ينظر: العمدة 93/1، والأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء 143. وانظر في هذا الصدد ما ذكره (العلوي، 1995، نضرة الإغريض، ص362-363). وانظر التعليق على الآية في (ابن حجر، 1959، فتح الباري 546/10).

(5) ورد في صحيح البخاري ما نصه: "يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. اللهم أيد به روح القدس" قال أبو هريرة: نعم. (البخاري، 1987، الجامع الصحيح، 123/1)، (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 32/3).

(6) جاء بإزاء هذا البيت على الحاشية، ما يأتي: "قوله: مصرعات، أي كالمصرعات، وقوله: أفض من فضضت ختم الكتاب وإغلاق الختام، أي ختما كالإغلاق، نحو، لجين الماء، وآراء بالإغلاق: الأبواب، كني بذلك الفض عن إزالة بكارتهن". والبيت للفرزدق كما ذكر (البغدادي، 1998، خزنة الأدب 4/11)، وهو في ديوانه 836. والحكاية والبيت منسوب للفرزدق في (الجرجاني، دت، المنتخب من كُنَايَات الأدياء، ص21).

(7) (الجرجاني، دت، المنتخب من كُنَايَات الأدياء، ص22) للفرزدق وهما غير موجودين في ديوانه (طبيروت).



لَقَدْ شَهِدْتُ لِي فِي الطَّوَّاسِينِ <sup>(1)</sup> آيَةً  
أَقَامَ بِهَا عُذْرِي الْكِتَابَ الْمُنَزَّلُ  
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ <sup>(2)</sup> وَإِنِّي  
مِنَ الْقَوْمِ قَوَّالٍ بِمَا لَسْتُ أَفْعَلُ

فقال له هشام: نجوت مني. ولنا في هذه الفرقة الطالحة قولنا: [الوافر]  
أَلَا لَا تَكْذِبَنَّ فِي قَرْضِ شِعْرِ  
وَإِنْ يَكُ فَاقَ شِعْرُ أُولِي الْبَوَادِي  
وَحَلَّ قَبَائِحَ الشُّعْرَاءِ طُرًّا  
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ <sup>(3)</sup>

وفي حق هذه الفرقة الطالحة ورد ما رواه صاحب فرائد القلائد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار" <sup>(4)</sup>. والمراد بامرؤ القيس في هذا الحديث صاحب المعلقة التي مطلعها: [الطويل]  
قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ <sup>(5)</sup>

وهو امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِيِّ، الذي هلك بأنقرة من بلاد الروم حال انصرافه من عند قيصر في أحد القولين. ومن ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما - قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب النَّاسُ لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ من البيان لسحراً، وإنَّ من الشعر حكمة" <sup>(6)</sup>.

ألا ترى أنَّ في كلمة (من) في هذا الحديث إرشاد إلى أنَّ من البيان، والشعر ما يحمده، ومنهما ما يُذَمُّ، فكأنَّه قال: إنَّ نوعاً من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير مذموم، وهو ما كان بمثابة السحر في التأمويه، وإرادة الباطل حقاً وبالعكس، وإنَّ نوعاً من الشعر محمود، وهو ما اشتمل على الحكمة من المواعظ والأمثال التي ينتفع بها النَّاسُ، والثناء على الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك.

ويحتمل أن تكون القرينة الأولى حثاً على تحسين الكلام وتحبيره، وتنقيح المنطلق وتحريه ليفهم معناه، ويظهر مؤداه من غير قصد رياء وسمعة، فعلى هذا تكون القرينتان في مدح بعض البيان، ومدح بعض الشعر، وعلى الأوّل تكونان في ذم بعض البيان، ومدح بعض الشعراء، ثم على

<sup>(1)</sup> الطواسين: سور من القرآن الكريم، جمعت على غير قياس، والأصل أن تجمع على طواسيم. (ابن منظور، دبت، لسان العرب، طسم).

<sup>(2)</sup> في البيت اقتباس من قوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاؤون ألن تر أنه في كل واد يهيمون" سورة طه، الآية 12.

<sup>(3)</sup> وقع الاكتفاء في البيت وتماه: "يهيمون".

<sup>(4)</sup> رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة. وانظر: (ابن حجر، 1412 هـ، الإصابة 390/2)، (ابن عبد ربه، 1948، العقد الفريد 93/3).

<sup>(5)</sup> عجز البيت: بسقط اللوى بين الدخول فحول. (امرؤ القيس، 1984، الديوان، ص 8).

<sup>(6)</sup> ينظر: (ابن الأثير، 1964، النهاية في غريب الحديث 419/1)، (ابن حجر، 1959، فتح الباري 540/10)، وانظر الخبر والحديث في (الحمدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 1464/2).

هذا تكون الأولى ناظرة إلى مقام التَّخْلِيَةِ عن الرِّذَائِلِ، والثَّانِيَةِ ناظرة إلى مقام التَّخْلِيَةِ بالفضائل. ولمَّا كان المقام الأول سابقاً في الاعتبار على الثَّانِي، على ما تَقَرَّر في محلِّه أثر صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذكر لام الابتداء في جانب الابتداء، وطوى ذكرها في جانب الانتهاء.

زيادة على ما هناك في هذا المقام الخطابي في تأكيد الحكم الإيجابيِّ إشعاراً بذلك، فيما أورده هنالك، وقد تكافأت القرينتان على الوجه الأوَّل، حيث كانت الأولى بمنطوقها دُماً، وبمفهومها مدحاً، والثَّانِيَةِ بمنطوقها مدحاً وبمفهومها دُماً، كما تكافأ الطرفان من قول الشَّاعر<sup>(1)</sup>:

كَمْ عَمَةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ      قَدْ عَاءَ قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي

حيث كان المراد كم عمة لك فدعاء<sup>(2)</sup> قد حلبت علي عشاري، وخالة لك فدعاء قد حلبت علي عشاري، فحذف من الأوَّل شيء من الصِّفَات، وأثبت آخر، وعكس محل الحذف والإثبات في الثَّانِي. فإن قلت: قد ورد في حديث آخر "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا"، فما الحِكْمُ هناك؟ أهو نفس الحكمة أم غيرها؟ قلت: فيه قولان ذكرهما زين العرب. أحدهما: أَنَّ المراد منه الكلام النَّافِع الذي يمنع من الجهل والسَّفه، ومنه سُمِّيَ الحاكم حاكماً لمنعه الظَّالِم عن ظلمه، والمراد بذلك على ما نقله ابن الأثير<sup>(3)</sup> في نهايته عن بعضه، المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس. وثانيهما: أَنَّ المراد منه الحكمة لقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾<sup>(4)</sup> فعلى هذا يتطابق الحديثان من جهة اتِّحَاد معنيي الحكم والحكمة.

ومن ذلك ما ورد أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم سُئِلَ عن الشعر، فقال: "هو كلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح"<sup>(5)</sup>. رواه صاحب آداب السِّيَاسَةِ إلى أن أورد ما قيل من أَنَّ ما جاز سمعه نثرًا جاز سمعه نظماً، وما لا يجوز سماعه نثرًا لا يجوز سماعه نظماً، وأنشد<sup>(6)</sup>: [المنسرح]

الشَّعْرُ كَالْبَحْرِ فِي تَلَاطُطِهِ      مَا بَيْنَ مَلْفُوظِهِ وَسَائِغِهِ  
فَمِنْهُ كَالْمِسْكِ فِي لَطَائِمِهِ      وَمِنْهُ كَالْمِسْكِ فِي مَدَائِغِهِ

(1) (الفردق، 1983، الديوان 583/1)، وفيه: "كم خالة لك". وحلبت علي عشاري: أي أنها كانت راعية لماشيتها.  
(2) (القدح: اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل، أو هو عوج في المفاصل، أو زيغ بين القدم وبين عظم الساق. يقال: جمل أقدح، وناقعة فدعاء. (الفيروز أبادي، 2009، القاموس المحيط، فدع).  
(3) (المبارك بن محمد الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين. المحدث اللغوي الأصولي. من كتبه: النهاية في غريب الحديث والأثر، وجامع الأصول في أحاديث الرسول، وشرح طوال الغرانب، وكلها مطبوعة. توفي سنة 606هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 272/5-273).

(4) سورة مريم، الآية 12.  
(5) (الطبري، دت، تهذيب الآثار، 654/2).  
(6) قالها أبو الفضل ابن عبد الواحد التميمي البغدادي. ينظر: (الثعالبي، 1983، تنمة بتيمة الدهر، ص 80).

ومن ذلك ما روي عن ابن الغطريف أنه قال: عاد جدِّي النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في مرض موته، فسمعه يقول: "لا بأس بالشَّعر لمن أراد انتصافاً من ظلم، أو استغناءً من فقر، أو شكرًا على إحسان"<sup>(1)</sup> رواه صاحب آداب السياسة أيضًا. ألا ترى أنَّ فيه إيماءً إلى أنَّه لا بأس به لمن أراد مثل هذه المقاصد الحسنة، بخلاف غيرها. ومن ذلك ما رواه البخاريُّ من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لأنَّ يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً"<sup>(2)</sup>.

وفي رواية: "لأنَّ يمتلئ جوف رجلٍ قبحاً [حتى] يريه"<sup>(3)</sup>، خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً"<sup>(4)</sup> إذ الظاهر أنَّ المراد بامتلائه شعراً أن لا يسعه غير الشعر، فيكون خالياً من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحينئذ ففيه إشارة إلى جواز القليل المباح منه، وهو محمود بالنسبة إلى غيره، فإنَّه لا يكون امتلاءً منه، ومنهم من يحمل الشعر في هذا الحديث على ما كان شاعراً عن الله تعالى، وكان أغلب على الرجل ممّا هو أولى به.

وقوله: يريه مثل بقيه، بمعنى يأكله ويفسده، أو بمعنى يستره لكثرتة، وقيل: القبح المدَّة مطلقاً أو المدَّة لا يخالطها دم قولان.

#### الفصل الثاني فيما يشعر بخصوص المدح

فمن ذلك ما روي أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدحه غير شاعر، فأجازه، ككعب بن زهير، فإنَّه مدحه بقصيدته المشهورة التي أولها:

بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ

فأجازه عليه. رواه أبو بكر بن الأنباري<sup>(5)</sup> أنَّه لمَّا وصل إلى قوله: [البسيط] إِنَّ الرِّسُولَ لَسَيِّفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَيَّئٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوبُ

رمى عليه الصَّلَاة والسلام إليه بُرْدَةً كانت عليه، وأنَّ معاوية بذل له فيها عشرة آلاف درهم، فقال ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدًا<sup>(6)</sup>. قال ابن هشام في الكلام على هذا

(1) (الراغب الأصفهاني، 2012، محاضرات الأدباء 1/164).

(2) (البخاري، 1987، الجامع الصحيح، 45/8)، (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 1/199 + 3/151).

وفي رواية أخرى: "لأنَّ يمتلئ ما بين لبتك إلى عاتقك قبحاً ودماً خيراً من أن يمتلئ شعراً" الاستيعاب 1/247، (الزركشي، 1970، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص 67). وانظر: (العاني، 1983، الإسلام والشعر، ص 22-23). والحديث والخبر في (السمرقندي، 1925، بستان العارفين، ص 16). وفي رواية ثالثة: "لأنَّ يمتلئ جوف أحدكم من عانته إلى هامته قبحاً يتخضض خيراً له من أن يمتلئ شعراً".

(3) من الوري: جاء يدخل الجوف. قيل: المراد هنا أن يستولي الشعر عليه، ويشغله عن القرآن والعلوم الشرعية. ينظر: (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 1/199) الهامش.

(4) (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 2/276 + 2/473).

(5) محمد بن القاسم بن محمد. من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، له كتب عديدة، منها: الزاهر، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، والأضداد، وغريب الحديث. توفي سنة 328هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 6/334).

(6) انظر الخبر في: (ابن هشام، 1996، شرح قصيدة بانت سعاد، ص 12).

البيت: ويروي أن كعباً -رضي الله تعالى عنه- أنشد من سيوف الهنود. فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "من سيوف الله" انتهى<sup>(1)</sup>. وفي آداب السياسة أنه أجازته البردة، وقال له: "لا فض فوك".

فإن قلت: كيف التَّنطيق بين إجازته إيَّاه بعد مدحه له؟ وبين ما جاء في الحديث "احتوا في وجوه المداحين التراب" أي: ارمؤهُ في وجوههم. إمَّا على إجراء الحديث على ظاهره كما هو قول بعضهم، أو على إرادة أن يخبوا، ولا يعطوا عليه شيئاً، كما هو قول غيرهم، يقال: حنَّ بالمُهْمَلَةِ والمُثَلَّثَةِ يَحْنُو حَنْوًا وَيَحْنِي حَنْبًا، حَكَهُ صاحب النهاية<sup>(2)</sup>.

قلت ينبغي أن يكون هذا الحديث محمولاً على ما إذا كان المداحون مُطْرَيْن في المدحة والإطراء، وهو مجاوزة الحد فيها، ففي البخاري في باب ما يكره من التمداح عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه سمع رجلاً يثني على رجل، ويُطْرِيه في المدحة، فقال: "أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل"<sup>(3)</sup>. وقطع الظهر مجاز عن الإهلاك، أي: أوقعتموه في الإعجاب بنفسه المُوجب لهلاك دينه.

وبالجملة ففي هذا الحديث أمر يرجع إلى النهي عن المدح على وجه التَّطْرِية، كما يشعر بذلك صيغة المداحين الفصيحة عن المبالغة، ولك أن تجعل النهي وارداً في حق مدح من يخاف عليه الفتنة بإعجاب ونحوه، إذ لا نهى في مدح من لا يخاف عليه ذلك لكمال عقله ورسوخ تقواه، بل رُبَّمَا كان ذلك مصلحة كما نبَّه على ذلك الكرمانى في شرح ما يلي ذلك الباب من البخاري، وبذلك ينحل الإشكال بواسطة التنافي ظاهراً بين هذا النهي، وبين ما ورد من مدح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأبي بكر وعبد الله بن سلام، رضي الله عنهما، مما هو مسوق في ذلك الباب.

ومن ذلك ما ورد عن عمرو الشريد عن أبيه قال: ردف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوماً فقال: "هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت"<sup>(4)</sup> شيء؟ قلت: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثُمَّ أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت<sup>(5)</sup>.

(1) وكانت الحكمة من هذا التوجيه: "أن الشاعر في وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم بالسيف الهندي نظر فيه إلى مادة السيف وصنعتة، فنظرة الشاعر كانت نظرة مادية محضة، أما نظرة النبي صلى الله عليه وسلم، فنظرة روحية تسمو على المادة وتتأى بالموصوف بأنه من سيوف الله عن استخدامه لقهَر العباد والاستبداد بهم" ينظر: (المحصى، 2004، الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء، ص15-16).

(2) قال ابن الأثير مجد الدين: "حتا فيه: احتوا في وجوه المداحين التراب" أي: ارموا. يقال: حنَّ يحنو حنواً، ويحنو حنواً: يريد به الخيبة، وألا يعطوا عليه شيئاً، ومنهم من يجريه على ظاهره فيرمي فيها التراب". (ابن الأثير، 1937، النهاية في غريب الحديث، 339/1).

(3) (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 310/1).

(4) أمية بن عبد الله بن أبي الصلت. شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف، شعره من الطبقة الأولى. توفي سنة 5 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 23/2).

(5) (مسلم، دت، الجامع الصحيح، 48/7)، (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين، 500/3-501). بقية الحديث: فقال، لقد كاد يسلم في شعره. ينظر: (الخازن، 1415 هـ، لباب التأويل 374/3). وهيه: أصله (إيه) فأبدلت الألف المهموزة هاء، وهي كلمة للاستزادة من الحديث المعهود. انظر: المحصى، 2004، الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء، ص180).

فهذا الحديث كما يرى دال على استحسان قراءة الشعر إذا كان فيه حكمة وموعظة، واستحسان سماعه حينئذ بمعونة الله صلى الله عليه وسلم طلب المزيد منه، ولولا أنه شعر فيه حكمة، لم يعرج إلى طلب المزيد منه بقوله: "هيه"، بُمْنَاةٌ تحثية ساكنة بين هائين مكسورتين من غير تنوين، وهي كلمة استزادة من الحديث معناها حدث، والمُحَدَّثُونَ يَتَوَنَّنُونَهَا ههنا، قال: زين العرب: وليس بسديد، لأنها استزادة حديث معين.

وقد كان أُمِيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ بِمُهمَلَةٍ مفتوحة فلام ساكنة فَمُنْثَاهُ شاعرًا جاهليًا، إلا أنه كان غَوَاصًا على المعاني، متينًا بالحقائق في شعره، حريصًا على استعمال أخباره صلى الله عليه وسلم، مُصَدِّقًا بخروجه، راجيًا أن يكون من قومه إلا أنه كان تَقْفِيًا، فَلَمَّا أُخْبِرَ أَنَّهُ صَلَّى الله عليه وسلم فُرْشِي أَيْسَ منه، ومنعه الحسد عن الإيمان، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في بعض طرق هذا الحديث على ما في شرح المصابيح لزين العرب "أسلم شعره وكفر قلبه"<sup>(1)</sup>.

وروي أن أخته<sup>(2)</sup> لما قدمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لها: "أتحفظين من شعر أخيك شيئاً؟" فأُنشِدته أبياتاً منها قوله<sup>(3)</sup>: [الخفيف]

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا      صَائِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا  
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي      فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُعُولَا

قُلَّةُ الجبل: أعلاه، والوعل: الأروى<sup>(5)</sup>.

فقال لها رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "كان مثل أخيك كمثل الذي أعطاه الله آيات فانسلخ منها، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين"<sup>(6)</sup>. ومن ذلك ما ورد عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: "إذا قرأ أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما يفسره، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"<sup>(7)</sup>. رواه السَّمَرْقَنْدِيُّ<sup>(1)</sup> في بستانه<sup>(2)</sup>، وهو مرغّب في حفظ أشعار الفصحاء من العرب العزباء للاستعانة بها في تفسير كلام الله تعالى.

(1) لم نعرّ عليها في شرح المصابيح.  
(2) هي الفارعة بنت أبي الصلت. والبيتان لأمية بن أبي الصلت. وانظر الخبر في: حياة الحيوان للدميري 426/2-427 في البيت 1: كل حي، أيل أمره. والمستوعل يفتح العين: حرز الوعل في القلة. (الفيروزآبادي، 2009، القاموس المحيط، وعل).

(3) (ابن أبي الصلت، 1937، الديوان، ص45)، (الراغب الأصفهاني، 2012، محاضرات الأدياء 308/4)، (الأصبهاني، 1985، الزهرة 556/2).

(4) في الأصل: بدا إليّ، وهذا خطأ، والصحيح "لي" كي يستقيم الوزن.  
(5) الأروى: غنم الجبل. (الدميري، 1969، حياة الحيوان 35/1). جاء بلزاء هذا في الحاشية ما نصه: قلة الجبل أعلاه، والوعل: الأروى.

(6) سورة الأعراف، الآية 175.  
(7) ينظر: (ابن رشيق، 1988، العمدة 90/1) ففيها رواية ابن عباس، (العلوي، 1995، نضرة الإغريض، ص356).

وفي كشف الغطا عن معاني أحاديث رسوله، صَلَّى الله عليه وسلّم، بالطريق الأولى، وقد قيل: "الشعر ديوان العرب، وترجمان الأدب". وروي أنّ عائشة -رضي الله عنها وعن أبيها- كانت تحفظ [اثني عشر] (3) ألف قصيدة. وروي عنها أنّها قالت: لست أفهم غرائبك يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: "استظهري أشعار لبيد" (4) أي: احفظيها واقرئيها ظاهراً (5).

وحكي عن سَكِينَةَ بنت الحسين (6) -رضي الله عنها وعن أبيها- أنّها كانت عارفة بالشعر وكلام الشعراء، حتى روي عن الفرزدق أنّه خرج حاجّاً، فدخل عليها مُسَلِّماً، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: ليس كما قلت، أشعر منك الذي يقول (7): [الوافر]

بنفسي مَنْ تَجَنَّبَهُ (8) عَزِيزٌ      عليّ ومن زيارتهُ لمأْم  
ومَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لا أَرَاهُ      ويَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

فقال: لنن أذنت لي لأسمعك من شعري ما هو أحسن من هذا، فقالت: أقيموه، فخرج فلماً كان من الغد عاد إليها، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: ليس كما قلت، أشعر منك الذي يقول (9): [الكامل]

لَوْلا الْحَيَاءُ لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ      وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ  
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الضَّجِيعُ (10) فِرَاشَهَا      حُرْبَ (11) الْحَدِيثِ وَعَقَّتِ الْأَسْرَارُ (12)  
لَا يَلْبَثُ الْقُرْءَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا      لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَتَهَارُ

(1) نصر بن محمد بن أحمد، الملقب بإمام الهدى. علامة، من أئمة الحنفية. من الزهاد المتصوفين. له كتب منها: تفسير القرآن، وعمدة العقائد، وتنبيه الغافلين، وغيرها كثير. توفي سنة 373 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 27/8).

(2) ينظر الخبر: (السمرقندي، 1925، بستان العارفين، ص16).

(3) في الأصل: اثنتي عشرة ألف. وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(4) لبيد بن ربيعة العامري. أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية، أدرك الإسلام، سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقة. توفي سنة 41 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 240/5).

(5) جاء في العمدة: "أنّ عائشة رضي الله عنها كانت كثيرة الرواية للشعر، ويقال: إنها كانت تروي جميع شعر لبيد". ينظر: (ابن رشيّق، 1988، العمدة 91/1).

(6) سَكِينَةُ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. نبيلة شاعرة كريمة. أخبارها كثيرة، وكانت إقامتها ووفاتها بالمدينة. توفيت سنة 117 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 106/3).

(7) (ابن حبيب، 1969، شرح ديوان جرير، ص512).

(8) جاء بإزاء هذه الكلمة في الهامش: أي أقديه بنفسه من تجنّبه شديد، صب عليّ ومن زيارته في بعض الأحيان، والتجني أن يدعي عليه ديناً.

(9) (ابن حبيب، 1969، شرح ديوان جرير، ص154).

(10) في الديوان: الحليل.

(11) في الديوان: خزن.

(12) جاء بإزاء هذه الكلمة ما يلي: حرث بالمهملتين والمثناة أي: رديتني، يقال: أحرث القرن، أي: أردبته، وحاصل البيت أنها إذا هجراها ضجيعها تحدثت مع غيره وكانت عفيفة، إلا أنه أسند العض إلى الإسرار مجازاً. (السراج القارئ، 1980، مصارع العشاق 83/2) وفيه: "خزن الحديث".

فقال: والله لئن أذنت لي لأسمعك من شعري ما هو أحسن من هذا، فأمرت به فأخرج، فلما كان من الغد، غدا عليها وحولها جوارٍ مَوْلَدَاتٍ كَأَنَّهِنَّ التَّمَائِيلُ عن يمينها وعن شمالها، فنظر الفرزدق واحدةً منهنَّ كأَنَّهَا ظَبْيَةٌ أَدْمَاءٌ، فمات عشقاً لها وجنوناً بها، فقالت سكينه: يا فرزدق، من أشعر النَّاسِ؟ قال: أنا، قالت: ليس كذلك، أشعر منك الذي يقول<sup>(1)</sup>: [البسيط]

إِنَّ الْعُبُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا كَحَلٌ<sup>(2)</sup> قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ<sup>(3)</sup> بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا

قال: يا ابنة رسول الله، إن لي عليك حقاً عظيماً لمولاتي لك ولأبائك، وإني سرت<sup>(4)</sup> إليك من مَكَّةَ قاصداً لك إرادة التسليم، فلقيت في مدخلي من التَّكْذِيبِ لي وتعنيفي، ومنعك إياي أن أسمعني<sup>(5)</sup> هذا، ومنعتني أن أسمعك من شعري ما قطع ظهري، وعيل<sup>(6)</sup> صبري به، والمنايا تغدو وتروح، ولا أدري لعلِّي أفارق المدينة حتَّى أموت، فإن أنا متَّ فَمُرِّي من يدفني في درع هذه الجارية، وأومئ إلى الجارية التي كلف بها، فضحكت سكينه حتى كادت تخرج من بردها، ثم أمرت له بألف درهم وكساء وطيب، وأمرت له بالجارية بجميع آلتها، وقالت يا أبا فراس: إنَّما أنت واحد منا أهل البيت، لا يَسُوْكَ ما جرى، خذ ما أمرنا لك به، بارك الله لك فيه، وأحسن إلى الجارية، وأكرم صحبتها، وأمرت الجوارى، فدفعت<sup>(7)</sup> ظهورهما.

قال الفرزدق: فلم أزل والله أرى البركة بدعائها في نفسي وأهلي ومالي. روى ذلك برمته صاحب كتاب مصارع العشاق فيه<sup>(8)</sup>.

### الفصل الثالث فيما يشعر بخصوص القدح

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾<sup>(9)</sup> فيمن فسّر لهو الحديث بالغناء والشعر<sup>(10)</sup>، وهذا ينبغي أن يكون محمولاً على ما إذا كان الغناء والشعر مُلْهِياً عن الله تعالى،

(1) (ابن حبيب، 1969، شرح ديوان جرير 286/1). وفيه: "مرض" بدل "كحل"، (الصفدي، 1991، الوافي بالوفيات

(80/11) وفيه: "حور". البيت 2: "أركنا"، وكذا في (السراج القارئ، 1980، مصارع العشاق 83/2).

(2) في الديوان: مرض، وفي الوافي بالوفيات: حور.

(3) جاء بإزاء هذه الكلمة على الحاشية ما نصه: الحراك (يفتح الحاء): الحركة.

(4) في الأصل: صرت، والصحيح ما أثبتناه.

(5) جاء بإزاء هذه الكلمة على الحاشية ما نصه: قوله: إن أسمعني بحذف لام الجر، وقولها: قطع هو مفعول لقيت.

(6) جاء بإزاء هذه الكلمة على الحاشية ما نصه: عيل بمعنى غلب، أي صار مغلوباً.

(7) في (السراج القارئ، 1969، مصارع العشاق 84/2) فدفعن في ظهورهما.

(8) ينظر الخبر: (السراج القارئ، 1969، مصارع العشاق 83/2-84)، (البيهقي، 1991، المحاسن والمساوي، ص198-200).

(9) سورة لقمان، الآية 6.

(10) وروي عن إبراهيم بن يوسف عن كثير بن هشام، قال: سئل عبد الكريم عن قوله تعالى "ومن الناس من يشتري لهو الحديث". قال: الغناء والشعر. ينظر: (السمرقندي، 1925، بستان العارفين، ص15).

وَالْأَقْرَبُ غَنَاءٌ وَشَعْرٌ لَا يَكُونُ مَذْمُومًا شَرْعًا، كَمَنْ يُعْتَنِي لِيَسْتَفِيدَ بِتَغْنِيهِ فَهَمُّ الْقَوَافِي وَالْفَصَاحَةِ، وَكَمَنْ يَنْشُدُ الشَّعْرَ فِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَوْعِظَةُ لِمَنْ اتَّعَظَ، وَالْعِبْرَةُ لِمَنْ اعْتَبَرَ، وَالْفَقْهُ فِي الدِّينِ لِمَنْ تَفَقَّهَ، إِذْ لَا كِرَاهَاةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، كَمَا لَا يَخْفَى، وَكَذَا لَوْ كَانَ فِي الشَّعْرِ ذِكْرُ امْرَأَةٍ غَيْرِ مَعِينَةٍ، أَوْ مَعِينَةٍ وَهِيَ مَيِّتَةٌ.

قال الزَّيْلَعِيُّ<sup>(1)</sup>: وَإِنْ كَانَتْ حَيَّةً تَكْرَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا أوردَهُ السَّمَرْقُنْدِيُّ فِي بَسْتَانِهِ عَنْ عَطَاءٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: يَا رَبِّ أَخْرَجْتَنِي مِنَ الْجَنَّةِ لِأَجْلِ آدَمَ، فَأَيْنَ بَيْتِي؟ قَالَ: الْحَمَامُ، قَالَ: فَأَيْنَ مَجْلِسِي؟ قَالَ: السُّوقُ، قَالَ: فَمَا قِرَاعَتِي؟ قَالَ: الشَّعْرُ<sup>(2)</sup>. وَهَذَا أَيْضًا مَحْمُولٌ عَلَى الشَّعْرِ الْمَذْمُومِ شَرْعًا كَثَرًا يَكُونُ مَدْحًا أَوْ هَجْوًا فِي غَيْرِ مَا شَرَعَ لَهُ، أَوْ يَكُونُ مَفْضِيًا إِلَى عَدَاوَةِ دُنْيَوِيَّةٍ.

شعر<sup>(3)</sup>: [الكامل]

وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ دَاءٌ مُعْضِلٌ وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْكَرِيمِ عِلَاجُهُ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ بِهِ الشَّاعِرُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ<sup>(4)</sup>: [الطويل]

وَكُنْتُ فَتًى مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ فَارْتَقَى بِي الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، إِنْ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾<sup>(5)</sup> فَلَيْسَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْلَمْ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ، لَكُنْ الشَّعْرُ مَذْمُومًا مطلقًا لَمَّا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَوَّغَ مِنْهُ مَا سَوَّغَ، بِمِثْلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنْ مِنْ الشَّعْرِ حِكْمَةٌ عَلَى مَا مَرَّ، وَسَمِعَ مِنْهُ مَا سَمِعَ، كَنَحْوِ قَصِيدَةِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ<sup>(6)</sup> عَلَى مَا سَلَفَ، وَأَتَى عَلَى بَعْضٍ مِنْهُ بِمَا أَتَى، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَصْدَقُ كَلِمَةً قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةً لِيَبْدَ: [الطويل]

(1) عبد الله بن يوسف بن محمد، أبو محمد، جمال الدين. فقيه عالم بالحديث. من كتبه: نصب الراية في تخریج أحاديث الهداية- مطبوع، وتخریج أحاديث الكشاف. توفي سنة 762 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 210/4).

(2) انظر الخبر: (البغوي، 1997، معالم التنزيل 106/5).

(3) (الشافعي، 1988، الديوان، ص 41)، (اليوسي، 1982، المحاضرات في الأدب واللغة 446/2).

(4) (المحبي، 1284 هـ، خلاصة الأثر 157/1) وفيه: "بي الحال". (ابن حمدون، 1996، التذكرة الحمدونية 429/9) وفيه: "فارتقت بي الحال"، وكذا في (الخفاجي، دت، ربحانة الألبا 334/1)، (اليوسي، 1982، المحاضرات في الأدب واللغة 285/1) وفيه: "فانتهى بي الأمر".

(5) سورة يس، الآية 69.

(6) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني. شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. كان ممن اشتهر في الجاهلية. هجا الرسول قبل الإسلام، فأهدر الرسول -عليه السلام- دمه. وقال قصيدته المشهورة (بانئت سعاد) بين يدي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعفا عنه. توفي سنة 26 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 266/5).



بل هو إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليسخر له الشعر، ولا ليتسهل له، وإن لم يكن له طبع شعر لا صنعة ولا رواية، حتى إذا تمثّل ببيت شاعر جرى على لسانه مُتَكَسِّراً، وبعضه ما روي عن عائشة رضي الله عنها - أنها قالت: أراد النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يتمثّل ببيت أخي قيس، فقال<sup>(2)</sup>:

سَتُبْدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ

فقال له أبو بكر رضي الله عنه: - ليس هكذا، إنما هو: "ويأتيك بالأخبار من لم تزود"، فقال صلى الله عليه وسلم: "ما علمت شعراً، وما ينبغي لي"<sup>(3)</sup>. وعن الحسن رضي الله عنه - أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يتمثّل بهذا البيت ويكسره، ويقول: "كفى بالإسلام والشيب للمره ناهيا". فقال له أبو بكر: يا نبي الله، أفما قال الشاعر: "كفى الشيب والإسلام للمره ناهيا"<sup>(4)</sup>؟ فقال: "أنا لست بشاعر، وما ينبغي لي، وما علمت شعراً"<sup>(5)</sup>.

ومما تمثّل به مُتَكَسِّراً، ما أورده البراء بن عازب رضي الله عنه - في حديثه من كلمات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه - التي ارتجز بها صلى الله عليه وسلم، وهو ينقل التراب يوم الخندق<sup>(6)</sup>.

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَالَيْنَا<sup>(7)</sup>  
فَأَنْزَلْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا  
فَقَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا  
وَأِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا  
إِنَّ الْأَلَى<sup>(1)</sup> قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا

(1) القول في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (شرح الشواهد الكبرى) 14/1 وفي رواية: قال: "أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد". وهو صدر بيت للبدي، وعجزه: "وكل نعيم لا محالة زائل" ديوانه 256. والحديث في (الحميدي، 1997، الجمع بين الصحيحين 89/3). جاءت هذه الرواية مع رواية أخرى فيه: "أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد": ألا كل شيء ما خلا الله باطل. ينظر: (البخاري، 1987، الجامع الصحيح، 53/5) وفيه (أصدق).

(2) (الشنتمري، 1975، شر ديوان طرفه بن العبد، ص 66).

(3) انظر الخبر: (السمرقندي، 1925، بستان العارفين، ص 16).

(4) عجز بيت للشاعر سحيم عبد بني الحساس، وصدرة: عميرة ودع إن تجهزت غازيا. (الميمني، 1950، ديوان سحيم، ص 85).

(5) تفسير الطبري 23/19، وتفسير الرازي 111/7.

(6) جاء بازاء هذه المقطوعة على الحاشية ما نصه: "قوله: لولا أنت أي لولا هدايتك، وقوله: ولا تصدقنا، أي ولا زكينا، ليلانم قوله ولا صلينا، أم ملاءمة. وقوله: قد بغوا علينا؛ أي: ظلمونا بإخراجنا من مكة، ومعنى قوله: وإن أرادوا فتنة أبينا وامتنعنا عن الفتنة التي هي الكفر بملة الإسلام، وإن أرادوها، وخبر إن كما أن الأولى بمعنى اسمها.

(7) (قصاب، 1988، ديوان عبد الله بن رواحة، ص 139). في البيت 1: تالله لولا الله ما اهتدينا. في البيت 3: الكافرون قد بغوا علينا. وإن أرادوا. وانظر المقطوعة برواية مختلفة في: (النوري، 2004، نهاية الأرب 17/176). وانظر الرواية والأبيات في: (البخاري، 1987، الجامع الصحيح، 78/4)، (الراغب الأصفهاني، 2012، محاضرات الأدباء 189/1).

ألا ترى أن قوله: عن (الألي) مستفعلن، وقوله: (قد بغوا) فاعلن، وهو لا يكون فرعا لمستفعلن عند العروضيين بحال من الأحوال، كما لا يكون أصلا في مثل هذا المقام، ومن روى قد رعبوا فلا انكسار على روايته. وأما البيت الأول: فلا انكسار فيه على كل حال، لما أن فيه جزما بحرفين زائدين على مستفعلن الأول، ومثله وارد في أشعارهم، نعم ولو قال: لا همّ وهو جائز، في اللهم مسموع منهم لم يكن خُزْمٌ (2) أصلاً، ويروى: "والله لولا الله ما اهتدينا"، ولكن مع قوله: (قد بغوا)، وقوله: (إذا أرادوا) في موضع، (وإن أرادوا) على هذه الرواية، فلا خزم فيها، ومنهم من قال إنه صلي الله عليه وسلم: "مصرفاً عن الشعر بطبعه، وإنما كان في قدرته، ولكنه لم يقله، فإن قلت ما وجه ثنائه صلى الله عليه وسلم على شعر لبيد -رضي الله عنه- في الحديث المذكور آنفاً، حيث اقتصر على صدر البيت اختصاراً كما يقال، قرأت (بأنث سعاد) بل أولي منبهاً على أن ذلك البيت وهو (3) [الطويل]:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ (4) وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

أصدق كلام قاله الشاعر مع أن الجنة ونعيمها داخلان في العمومين، وهما ليسا بأمرين باطل وزائل، قلت: المراد من كل شيء ومن كل نعيم، ما كان دنيوياً بقرينة أنه بصدد ذم الدنيا، وبيان زوالها وزوال أهلها، ولذا قال في صدر القصيدة التي منها ذلك البيت (5):

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْحَبَ فَيَقْضِي أَمْ ضَلَّالٌ وَبَاطِلٌ

إلى أن قال (6):

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُؤَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَتَائِلُ

وروى ابن هشام في بعض كتبه خويخية بدل دويهية، أو يقال في المصراع الأول أنه متضمن لمعنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (7) إذ الباطل هو المهالك كما فسره به زين العرب وغيره، ومعنى الآية أشهر من "قفا نيك"، فإن قلت: ما وجه التوفيق بين ما ذكرت من قوله

(1) في الديوان: إنّا إذا قوم قد بغوا علينا.  
(2) الخزم: هو زيادة من حرف إلى أربعة أحرف أول الصدر غالباً. وقد تكون في أول الشطر الثاني، لكن بحرف أو بحرفين، وإلا اعتبر شاذاً. ينظر: (إميل يعقوب، 1991، المعجم المفصل في علم العروض والقافية، ص228).  
(3) (إحسان عباس، 1962، شرح ديوان لبيد، ص256).  
(4) القول في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (شرح الشواهد الكبرى) 14/1 وفي رواية: قال: "أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد". وهو صدر بيت للبيد، وعجزه: "وكل نعيم لا محالة زائل" ديوانه 256. والحديث في الجمع بين الصحيحين 89/3 رقم (2273)، جاءت هذه الرواية مع رواية أخرى فيه: "أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد": ألا كل شيء ما خلا الله باطل. ينظر: (البخاري، 1987، الجامع الصحيح، 53/5). وفيه (أصدق).  
(5) (إحسان عباس، 1962، شرح ديوان لبيد، ص254).  
(6) (إحسان عباس، 1962، شرح ديوان لبيد، ص257).  
(7) سورة القصص، الآية 88.

تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ الآية، على كل من القولين المذكورين، وبين ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قوله، وقد دميت إصبعه في بعض المشاهد:

هَلْ أَتَيْتَ إِلَّا لِإِصْبَعٍ دَمِيتَ (1)؟ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ (2)

وقوله (3) في يوم حُتَيْنَ (4)، وقد ولي سَرَاعان الناس (5) [مجزوء الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

قلت: قد أجيب عن ذلك بوجه، الأول: أَنَّهُ رَجَز، والرجز ليس بشعر (6)، وإنما يقال لصاحبه الرَّاجِز لا الشَّاعر، وعضد هذا القول بأنَّ الرِّجْز يأتي تاماً ومجزؤاً ومشطوراً ومنهوكاً، حتى أنَّ بعضهم صنع قصيدة على جزء واحد جعله بيتاً أي ولا شيء مما سواه من بحور الشعر بهذه المثابة، فلا يكون شعراً، وهذا الوجه مدفوع بأنَّه إنما يتم على مذهب الأخفش على ما قيل من أَنَّهُ ينبغي كون الرِّجْز كُلِّه شعراً، وقد علمت ما فيه على أَنَّ هذا الوجه لا يطرد على مذهب غيره لو سلم أَنَّ ذلك مذهبه، وأيضاً استبداد الرِّجْز بما لا يوجد في غيره لا ينافي كونه شعراً، وأيضاً كونه مع الهزج والرمل في دائرة واحدة، وهما شعران يعضد كونه شعراً.

الثاني: أَنَّ البيت الواحد ليس بشعر، وهذا الوجه مدفوع أيضاً على ما مرَّ في المقدمة، على أَنَّ دعوى أَنَّ ما نحن فيه من قبيل البيت الواحد ممنوعة، لم لا يجوز أن يكون من قبيل البيتين المشطورين؟ الثالث: أَنَّ ما يقع على سبيل الندرة من الشعر لا يلزم صاحبه اسم الشَّاعر، إذ الشَّاعر إنما هو الذي ينشد الشعر، ويمدح ويذم ويتصرف في الأفانين مُتَّخِذاً ذلك صنعة له، فالمتقى من الآية، إنما هو الشعر بهذه المثابة لا غير. الرابع: أَنَّ الشعر لا بُدَّ فيه من القصد إلى الوزن المخصوص، فما لم يقصد وزنه فليس من الشعر في شيء، وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم، فليس مما قصد صلى الله عليه وسلم إلى وزنه، وإنما وزنه اتفاقاً (7) كآيات وقعت موزونة في كلام

(1) في رواية جندب أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار أصابت الحجارة إصبعه فدميت، فقال: "هل...". (ابن حجر، 1959، فتح الباري 541/10).

(2) (الحمدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 389/1).

(3) وفي رواية البراء بن عازب -رضي الله عنه- أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء يوم حنين يقول: أنا النبي... ينظر: (البخاري، 1987، الجامع الصحيح، 37/4).

(4) حنين: واد بين مكة والطائف شهد الواقعة التي تسمى بهذا الاسم بين النبي، صلى الله عليه وسلم، وهوازن سنة ثمان بعد فتح مكة.

(5) جاء بإزاء هاتين الكلمتين على الحاشية ما نصه: "سَرَاعان الناس بالتحريك: أوائلهم". (الحمدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 523/1).

(6) يقول الزمخشري عند حديثه عن الرجز المشطور السالم: "وهو عند الخليل ليس بشعر. ويضرب على ذلك مثلاً قول العجاج: ما هاج أحزانا، وشجوا قد شجا" عروضة بعينها هي ضربه، لأنه لا يبقى له" ينظر: (الزمخشري، 1989، القسطاس في علم العروض، ص100).

(7) ينظر: (ابن تغري بردي، 1984، المنهل الصافي 193/2-194).

الله تعالى نحو: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(1)</sup> ونحو: ﴿وَجَفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ﴾<sup>(2)</sup>، وكأبيات وقعت موزونة في كلام الناس من غير قصد إلى وزنها، نحو ما يحكى عن بعض المرضى أَنَّهُ أنشد، وهو يعالج بالكَيِّ ويتضرَّر به<sup>(3)</sup>: [مجزوء الخفيف]

أَذْهَبُوا بِسِي الطَّيِّبِ ————— بٍ وَقُولُوا: قَدْ اكْتَوَى

وغيره ممَّا حكاه الكُزْمَانِي في شرح البُخَارِي. وهذه الأجوبة كلها بتقدير رواية من روى (دميت) و (لقيت) بقاء الخطاب المكسورة مشبعة كسرتها، و (كذب) و (المطلب) بقاء ساكنة. وروى صاحب لباب النَّقَاسِير<sup>(4)</sup> أَنَّهُ صَلَّى الله عليه وسلم قال: (دميت) من غير إشباع، و (لقيت) بالسكون للوقف، و (لا كذب) بالفتح، و (المطلب) بالكسرة، فعلى ما رواه لا يكون واحد من الحديثين موزوناً، فضلاً عن أن يقال إِنَّهُ موزون من غير قصد إلى وزنه<sup>(5)</sup>.

ويتجه عليه أَنَّ العرب لا تقف بالحركة، فكيف يروى عن أفصحهم صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قال: (المطلب) بالكسرة في مقام الوقف، كما يتَّجه مثل ذلك على ما نقله زين العرب عن بعضهم من كسر تاء (دميت) و (لقيت) بلا مد، أي: بلا مدّ ينشأ عن إشباع تلك الكسرة، إلا أن يثبت أَنَّهُ صَلَّى الله عليه وسلم، إِنَّمَا وقف على كلمة أخرى بعد ذلك، إلا أَنَّ الرَّأْيَ لم يوردها، وما حكى قبلها على حركته، أو تكون حركته وهي كسرة (المطلب) و (لقيت) غير تامة بواسطة الرَّوم الذي لا كلام في جواز الوقف به، مع أَنَّ الكُزْمَانِي<sup>(6)</sup> شارح البخاري اقتصر في شرح باب من قاد دابة غيره في

(1) سورة آل عمران، الآية 92. قال الشهاب الحجازي من مجزوء الرمل:

أسعدوا المرملة تجزؤوا      ذاك أولى ما تعدون  
لن تنالوا البر حَتَّى      تنفقوا مما تحبون

ورد البيتان في: (ابن تغري بردي، 1984، المنهل الصافي 198/2)، وفي البيت الثاني جزء من الآية 29 من سورة الملك.

(2) جزء من الآية 13 من سورة سبأ.

(3) (الجاحظ، 1968، البيان والتبيين، 154/1). وفيه: "أذهبوا بي"، (ابن منقذ، 1960، البديع في نقد الشعر، ص132). وفيه: "أحملوني".

(4) هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، برهان الدين، أبو القاسم، ويعرف بتاج القراء: عالم بالقراءات، نحوي، مفسر، من أهل كرمان. قال ياقوت: أحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان عجباً في دقة الفهم والاستنباط. من كتبه: البرهان في متشابه القرآن، وكتاب لباب التأويل، توفي نحو 500 هـ أو 505 هـ كما ذكر الزركلي. (الزركلي، 1999، الأعلام 168/7).

(5) يقول أحد الباحثين المحدثين: "إن الشعر في اصطلاح الأدباء والنقاد- هو الكلام الموزون المقفى قصداً. والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقصد بذلك أن ينظم شعراً؛ وإنما جرى ذلك على لسانه الشريف عفواً بادناً دون ارتصاد لنظمه أو احتشاد لصوغه. ونظيره في ذلك ما جاء في القرآن الكريم من بعض الآيات التي جاءت على وزن بحر من البحور دون أن تساق مساق الشعر بحال، فهي في موقعها من الذكر الحكيم نثر صريح لا يأتيه الشعر من قريب أو بعيد، كذلك ما جاء عفواً من كلام النبي صلى الله عليه وسلم" ينظر: (المحصى، 2004، الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء، ص45).

(6) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين شارح البخاري (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري). عالم بالحديث. أصله من كرمان. اشتهر في بغداد، وأقام مدة بمكة. له مؤلفات منها: ضمانر القرآن، وأنموذج الكشف، وشرح لمختصر ابن الحاجب سمَّاه السبع السَّيَّارة، وغيرها. (ت786 هـ). (الزركلي، 1999، الأعلام 153/7).

الحرب على رواية فتح باء (كذب) حيث قال: ورواه بعضهم بفتح الباء؛ ليخرجه عن الوزن غير متعرض لرواية كسرة باء (المطلب) مع فتح تلك الباء عنه لا يقال لا وجه لأن يقال (دميت) و(لقيت) بكسر التاء فهما؛ لأنَّ (دميت) نعت لإصبع، والضمير الذي يعود إلى الاسم الظاهر في مثل هذا التركيب غائب، فلعلَّ الرواية بتاء التأنيث الساكنة في (دميت)، وكذا في (لقيت) وحينئذ لا يشكل هذا الحديث أصلاً لعدم الوزن مطلقاً، لا نقول إنَّ له توجيهاً حسناً، ألا ترى أنَّه من قبيل: "أنا الذي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيَّرَه" (1).

غاية ما في الباب أنَّ ذلك ممَّا عاد فيه ضمير الخطاب إلى الموصوف، وهذا من قبيل ما عاد فيه ضمير التكلم إلى الموصول نعم الأصل في مثلهما أن يكون العائد ضمير الغيبة، نحو: نحن رجال بابعوك، ونحوه (2): [الرجز]

تَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّداً عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقَيْنَا أَبَداً

وإن كان مقتضى الظاهر أن يقال في المصراع الثاني ما بقوا، فإن قلت قد مرَّ من الأشعار بمنع الافتخار في الأشعار، مع أنه ممنوع أيضاً في غيرها من الكلام، ولذا قال عليه الصلوة والسلام فيما ورد عنه من بديع النثر: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" (3) فما وجه قوله: [مجزوء الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

قلت: هذا ليس من باب الافتخار، بل هو إعلام لمن قرَّ من قومه صلى الله عليه وسلم، بأنَّه ثابت لم يَفِرَّ، وتعريف لهم بنفسه، وبموضعه ليرجعوا إليه، ولو سلم أنَّه من باب الافتخار، فلا نسلم أنَّ الافتخار منهى عنه مطلقاً، بل إنَّما النَّهي عنه في غير الجهاد؛ لأنَّ في الافتخار فيه ترهيب العدو، وقد نصر صلى الله عليه وسلم بالرُّعب مسيرة شهر (4)، فإذا أشار إلى أنَّه النَّبيُّ الحقَّ الذي لا يَفِرُّ من الحرب، وأخبر بأنَّه ابن عبد المطلب، ألقي الرُّعب في قلوبهم، كيف به وأنَّ قوله: "أنا ابن عبد المطلب" إشارة إلى رؤيا كان رآها جدُّه عبد المطلب، فأخبر بها قريشاً، وعَرَّفَ بأن سيكون له ولد يسود الناس، ويهلك أعداؤه على يديه، وكان ذلك مشهوراً، افهم وبالجملته ممَّا قصد إليه صلى الله عليه وسلم من المعنى بهذا الحديث، فهو معنى حسن صحيح لا غبار عليه كالتسلية التي قصد إليها بقوله (5):

(1) انظر قصة هذا الرجز في: (النويري، 2004، نهاية الأرب 17/179). والحيدة: الأسد.

(2) التخريج: (السيوطي، دت، همع الهوامع 337/1).

(3) جاء بإزاء هذا الحديث على الحاشية ما نصه: أورد هذا الحديث بهذا اللفظ غير واحد من المحدثين كصاحب التقريب في علم الغريب وغيره. ووقع في الصحيح: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر". ووقع في الجمع بين الصحيحين: القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع". (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 3/315).

(4) (ناصر الدين، 1422هـ، الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب 1/355).

(5) (قصاب، 1988، ديوان عبد الله بن رواحة، ص154).

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتِ      وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَّتِ

مخاطباً لإصبعه مجازاً، كما تخاطب الرسوم والمنازل وغيرها من غير ذوي العقول، أو حقيقة على أن ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم، أي: تنبئي فإنك ما ابتليت بالقطع. غاية ما في الباب أنك دميت وجرحت، ولم يكن ذلك أيضاً هدراً، بل كان في سبيل الله أو رضا.

#### الخاتمة في تشنيف السمع بما كان من حكم السجع

اعلم أن ما كان محموداً أو مذموماً في الشعر على ما مر، فهو محمود أو مذموم في السجع، بل هما والنثر لا سجع فيه سيان، فما حمد فيهما حمد فيه، وما ذم فيهما ذم فيه. فمن محمود السجع ما ورد في مدح عالم عامل، أو سلطان عادل، أو هجاء كافر جاهل، بذكر ما له من الرذائل جواباً عما صدر منه من هجاء أرباب الإيمان، وأصحاب الإيقان، أو ما شاكل ذلك من المقاصد الحسنة الشريفة، والمعاني المستملحة اللطيفة.

ومن مذمومه ما استعمل في باطل ترويحاً له حتى كأنه غمدٌ من ذهب، فيه سيفٌ من خشب، مثل سجع الرجل الذي قضى عليه صلى الله عليه وسلم بالغرّة<sup>(1)</sup>، فقال: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق، ولا استهل. فمثل ذلك يُطل: أي يهدر، من قولهم: طلّ الدم: إذا أهدر<sup>(2)</sup>. ومنه قول الشاعر<sup>(3)</sup>: [الطويل]

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ      وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

وابن بطّال على ضعف رواية يُطل من البطلان، فلا تعتمد عليها، وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه بعد إيراده لهذه السجعات، على ما ساقه البخاري: "إنما هذا من إخوان الكهان"<sup>(4)</sup> دائماً للكهان، ومن يتشبه بهم في أساجيعهم المستعملة في الباطل، كرد حكمه صلى الله عليه وسلم في هذا المقام رجماً بالغيب، وتلبساً بما هو من لباس العيب. قال الخطابي<sup>(5)</sup>: لم يردده صلى الله عليه وسلم لأجل السجع نفسه، لكنه إنما عابه ردّ الحكم، وتزيينه القول فيه بالسجع على مذهب الكهان في ترويح أباطيلهم بالأساجيع التي يُروجون بها الباطل، ويوهمون الناس أن تحتها طائلاً<sup>(1)</sup>. هذا كلامه.

(1) سأل عمر بن الخطاب عن إملاص المرأة: وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنيناً. قال المغيرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "فيه غرة أو أمة". (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 419/3-420).

(2) ينظر: (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 420/3).

(3) (السموأل، 1964، الديوان، ص 91).

(4) (البخاري، 1987، الجامع الصحيح البخاري، 175/7).

(5) حمد بن محمد بن إبراهيم البستي. فقيه محدث، من أهل بستان. له مؤلفات في الفقه والحديث والبلاغة، ومنها: بيان إعجاز القرآن. توفي سنة 388 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 273/2).

ويحتمل أن يكون ردّه صَلَّى الله عليه وسلّم بواسطة اطلاعه على أنّه سجع، قد تكلف فيه إذ ما تكلف فيه مما حصل اتفاقاً، فليس من السّجع المذموم في شيء، ولهذا وقع السّجع في كلامه صَلَّى الله عليه وسلّم، مثل: "اللّهُمَّ منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب"<sup>(2)</sup>. ومثل: "لا إله إلا الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، ولا شيء بعده". إلى غير ذلك ممّا رواه البخاري في باب غزوة الخندق من سجعه الذي لم يتكلفه، وإنّما كان منه اتفاقاً، وعلى مقتضى السّجّة.

ومن السّجع الاتفاقيّ له صَلَّى الله عليه وسلّم، ما وقع فيما أورده القاضي عياض من قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: "رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو سكت فسلم"<sup>(3)</sup>. وقوله صَلَّى الله عليه وسلّم: "لعله كان يتكلّم بما لا يعنيه، ويخجل بما لا يُعنيه"<sup>(4)</sup>.

ومن مذمومه -أيضاً- ما قصد إليه عمداً، وعمد إليه قصداً في مقام الدعاء لما في التزامه من إتلاف النّيّة، وإفساد الطّويّة، المفوت لما هو الغرض الأصليّ من الدعاء. وهذا هو المراد فيما جاء في الحديث عن ابن عباس أنّه كان يكره السّجع في الدعاء، ويقول إنّّه ليس من السّنة. رواه التّيجانيّ<sup>(5)</sup> في شرح الشّفاء، وصحّحه. وإلا فهو صَلَّى الله عليه وسلّم قد سجع في دعائه كما مرّ، وكما أورده صاحب الشّفا من قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: "اللّهُمَّ إِنِّي أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلّمّ بها شعتي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكّي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وتردّ بها ألّفتي معاً، وتعصمني بها من كلّ سوء، اللّهُمَّ إِنِّي أسألك الفوز في القضاء، ونزل الشّهداء، وعيش السّعداء، والنّصر على الأعداء"<sup>(6)</sup>.

إلا أنّ سجعه في مثل ذلك إنّما كان لازماً غير ملترّم على ما أشرنا إليه، ورُبّ ملترّم كان مضراً، ولازم كان غير مضر، ككُفّر يلزم مذهب ذي مذهب، وهو لا يعلم به حيث يكفر بسببه، حتى لو علم به لكان التّزاماً حكماً على ما تقرّر في محلّه، ويعضده أنّه صَلَّى الله عليه وسلّم لم يلتزمه أنّه

(1) انظر: (العيني، 1972، عمدة القاري 385/31).

(2) (الحميدي، 1998، الجمع بين الصحيحين 505/1).

(3) (سامي محمد، دت، العمل الصالح 62/1).

(4) (الخشري، 2004، نور اليقين، ص 209)، (اليحصي، 2002، الشفا بتعريف حقوق المصطفى 162/1).

(5) علي بن إبراهيم بن محمد التّيجاني، الناظم النّائر. أحد طلبة تونس ومقرئها للعربية والأدب، ذهب في رحلة إلى بلاد

الحجاز لأداء فريضة الحجّ، دونها في كتاب، طبع في تونس. كان حياً في سنة 708هـ. ينظر: (ابن رشيد، 1988،

ملء العيبة، ص 273).

(6) (اليحصي، 2002، الشفا بتعريف حقوق المصطفى 163/1).

لم يقع في سائر دعائه، هذا مع حسنه المقتضي لالتزامه، لولا ما في التزامه مما عملت كما نبهناك على ذلك في كتابنا "موارد الصفا، وموائد الشفا"<sup>(1)</sup>.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم ممازحاً لصغير كان له نُغَيْرَ فَمَاتَ: "يَا بَا عُمَيْرُ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟"<sup>(2)</sup>. فجزم زين العرب في شرح المصابيح بأنه يدل على إباحة السجع، كما يدل على إباحة الممازحة، ما لم تكن إثمًا<sup>(3)</sup>.

ومقتضى ذلك أنَّ هذا السجع ملتزم عن قصد، لا لازم عن غير قصد، إذ لا معنى لإباحة ما لا يقصد إليه، ولا مانع يمنع من أن يكون له صلى الله عليه وسلم قصد إلى سجع الكلام، كما كان له مانع يمنع من أن يكون له صلى الله عليه وسلم قصد إلى وزن الشعر على ما علمت، فإن قلت: وماذا يكون وجه سجعه القصدي؟ قلت: أمّا بيان الجواز كصلاته على آل أبي أوفى قائلًا: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى"<sup>(4)</sup> على أحد القولين.

وأما تحسين العبارة سعيًا في ملاطفة ذلك الصغير، وإزاحة لهمة الناشي عن موت ما كان يألفه، ولذا مازحه وشرفه بتكنيته إياه، وصغر له اسم طائره الذي مات، وهو "النُّغَيْرُ بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ قَائِلًا لَهُ: "مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟"، مع ما في تصغيره من التطبيق بينه وبين عُمَيْرٍ في التّصغير رعاية للسجع، فإنَّ السجع يراعى كما يراعى وزن الشعر، ألا ترى إلى حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول في قولهم: "مَنْ حَسُنْتُ سَرِيرَتُهُ حَسُنْتُ سِيرَتُهُ".

وقوله<sup>(5)</sup>: [الطويل]

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُؤْنَ إِلَّا وَدَائِعٌ      وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وأما حذفه صلى الله عليه وسلم همزة "أبا" في قوله: يا بَا عُمَيْرُ فليس لرعاية السجع، كوصل همزة القطع في الشعر رعاية لوزنه، بل هو أمر يجوز مثله في سعة الكلام، حيث لا سجع أصلاً، لأدلة منها ما رواه البَغَوِيُّ<sup>(6)</sup> في المصابيح من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النَّبِيُّ، صَلَّى الله عليه وسلم، في السوق، فقال رجل: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النَّبِيُّ، صَلَّى الله عليه وسلم،

(1) "موارد الصفاء وفوائد الشفا للفاضي عياض". ذكر في كشف الظنون 1054/2، وإيضاح المكنون 598/2. والكتاب ذكره نهاد حسوبي صالح في آثار المؤلف التي لم يقف عليها في الرسالة التي حققها: "رسالة في المتصل والمنفصل". ينظر: (ابن الحنبلي، 1985، رسالة في المتصل والمنفصل، ص 77-84).

(2) (البخاري، 1987، الجامع الصحيح، 37/8).

(3) لم نعثر على هذه المعلومة في شرح المصابيح.

(4) رواية الحديث: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقته قال: اللهم صل على آل فلان، فاتاه أبي بصدقته، فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى" (البخاري، 1987، الجامع الصحيح، 159/2).

(5) القائل ليبيد بن ربيعة، والبيت في: (إحسان عباس، 1962، شرح ديوان ليبيد بن ربيعة، ص 170).

(6) الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، يلقب بمحيي السنة فقيه، محدث، مفسر. من كتبه: "التهذيب" في فقه الشافعية، و"شرح السنة" في الحديث، و"اللباب التأويل في معالم التنزيل" في التفسير، و"مصابيح السنة"، و"الجمع بين الصحيحين". توفي سنة 510 هـ. ينظر: (الزركلي، 1999، الأعلام 259/2).



الحديث<sup>(1)</sup>. وكثيراً ما يظنُّ بعض الجهلة إذا سمع مثل ذلك من عوام زماننا أنَّه من الخطأ، وإنَّما هو من الصَّوَاب، كغيره مما ذكرناه في كتابنا "بحر العوام فيما أصاب فيه العوام"<sup>(2)</sup>. قال مُصَنِّفُهُ رحمه الله تعالى: وهاهنا انتهى الكلام بعون الملك العلَّام، والحمد لله وحده، والصَّلَاة والسَّلَام على من لا نبيَّ بعده.

وكان الفراغ منه على يد مؤلفه الفقير الأحقر، والحقير الأفقر محمد بن إبراهيم بن الحنبليّ الحلبّي الحنفيّ في أواخر المُحرَّم الحرام من شهر سنة ست وخمسين وتسعمائة. انتهى وكان الفراغ من تعليقه من النُّسخة التي يَخُطُّ المؤلِّف نهار الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأولى من شهر سنة إحدى وثمانين وتسعمائة.

والحمد لله ربَّ العالمين والصَّلَاة والسَّلَام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وأزواجه إلى يوم الدِّين.

#### الخاتمة:

بعد أن انتهينا من تحقيق المخطوط تكشفت لنا النتائج الآتية:

- 1- تناول ابن الحنبلي في رسالته قضية شغلت النُّقَّاد القدامى، والمحدثين أيضاً، وهي تتعلَّق بموقف القرآن من الشُّعر، وكذلك موقف الرُّسول صلَّى الله عليه وسلَّم منه.
- 2- برز اتجاهان في هذا المقام: الأول يسير مع الشُّعر في مواجهة شعراء قریش، والثاني: يذمُّ الشُّعر، وهذا ما نجده في الأحاديث الشَّريفة التي فُسِّرَتْ في غير سياقها الصَّحيح.
- 3- أسهب ابن الحنبلي في عرض الأدلَّة والشُّواهد التي تُبرِّز موقف الإسلام من الشُّعر، وقد تنوعت ما بين الآيات قرآنية والأحاديث شريفة، والأشعار.
- 4- اختلفت الآراء عند النُّقَّاد في موقفهم من مدح الشُّعر أو ذمِّه، ونجد مثل هذا التنوع عند ابن رشيقي، والرَّاغب الأصفهاني، والمظفر بن الفضل العلوي، وينسحب هذا الاختلاف على المحدثين أيضاً أمثال سامي مكِّي العاني وإخلاص عمارة.

(<sup>1</sup>) رواية الحديث: عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم في السوق، فقال رجل: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما دعوت هذا! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سمو باسمي ولا تكتوا بكنيتي" ينظر: (البغوي، 1901، مصابيح السنة 3/302).

(<sup>2</sup>) ينظر: (ابن الحنبلي، 2007، بحر العوام، ص173).

- 1- ابن أبي الصلت، أمية. (1937). الديوان. تحقيق: بشير يموت. بيروت.
- 2- ابن الأثير، مجد الدين. (1964). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، وآخر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
- 3- آري، أ. آرثر (1992). فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستريتي. ترجمة: د. محمود شاكر سعيد. المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. مؤسسة آل البيت، عمان.
- 4- الأصبهاني، محمد. (1985). الزهر. تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، وآخر، ط2. مكتبة المنار. الزرقاء.
- 5- امرؤ القيس بن حجر. (1984). الديوان. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط4. دار المعارف. القاهرة.
- 6- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1987). الجامع الصحيح. ط1. دار الشعب. القاهرة.
- 7- بروكلمان، كارل. (1995). تاريخ الأدب العربي - العصر العثماني. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- 8- البغدادي، إسماعيل باشا. (1378هـ). إيضاح المكنون. اعتناء: محمد شرف الدين. طبع بالأوفسد. طهران.
- 9- البغدادي، عبد القادر. (1997). خزانة الأدب وغاية الأرب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. ط4. مكتبة الخانجي. القاهرة.
- 10- البغوي، الحسين بن مسعود. (1901). مصاييح السنة. المطبعة الخيرية. القاهرة.
- 11- البغوي، الحسين بن مسعود. (1997). معالم التنزيل. ط4. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض.
- 12- البيهقي، إبراهيم بن محمد. (1991). المحاسن والمساوي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف. القاهرة.
- 13- ابن تغري بردي، جمال الدين. (1984). المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. (ج2). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

رسالة إحكام الإشعار بأحكام الأشعار لمحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت971هـ)

- 14- الثعالبي، عبد الملك. (1983). تنمية ينمية الدهر في محاسن أهل العصر. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.
- 15- الجاحظ، عمرو بن بحر. (1968). البيان والتبيين. ط1. دار صعب. بيروت.
- 16- الجرجاني، أحمد بن محمد. (د.ت). المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء. مكتبة دار البيان. بغداد.
- 17- الجمحي، محمد بن سلام. (1974). طبقات فحول الشعراء. دار المدني. جدة.
- 18- الجماعلي، عبد الغني. (د.ت). الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء - مخطوط من القرن السادس الهجري لدى: د. جميل سلطان صاحب كتاب "عبد الله بن رواحة". أمير شهيد وشاعر على سرير من ذهب.
- 19- الجوهري، إسماعيل. (1956). الصاحح. ط2. دار العلم للملايين. بيروت.
- 20- الحامد، عبد الله. (1980). الشعر الإسلامي في صدر الإسلام. ط1. مطابع الإشعاع التجارية. الرياض.
- 21- الحاوي، إيليا. (1983). شرح ديوان الفرزدق. ط1. منشورات دار الكتاب اللبناني. بيروت.
- 22- ابن حبيب، محمد. (1969). شرح ديوان جرير. دار المعارف. القاهرة.
- 23- ابن الحجاج، مسلم. (د.ت). الجامع الصحيح. دار الجيل، بيروت.
- 24- ابن حجر العسقلاني، أحمد. (1412هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. ط1. دار الجيل. بيروت.
- 25- ابن حجر العسقلاني، أحمد. (1359هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. المكتبة السلفية. القاهرة.
- 26- ابن حجر العسقلاني، أحمد. (1959). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة.
- 27- ابن حمدون، محمد. (1996). التذكرة الحمدونية. ط1. دار صادر. بيروت.
- 28- الحموي، ياقوت. (1984). معجم البلدان. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت.

- 29- الحميدي، محمد بن فتوح. (1998). الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. ط1. دار ابن حزم. بيروت.
- 30- ابن الحنبلي، رضي الدين. (2007). بحر العوام فيما أصاب فيه العوام. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.
- 31- ابن الحنبلي، رضي الدين. (1974). در الحبيب في تاريخ أعيان حلب. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، إحياء التراث القديم. مطبعة الوزارة. حلب.
- 32- ابن الحنبلي، رضي الدين. (د.ت). قفو الأثر في صفو علوم الأثر. مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب.
- 33- ابن الحنبلي، رضي الدين. (1326هـ). قفو الأثر في صفو علوم الأثر. ط1. مطبعة السعادة. القاهرة.
- 34- ابن الحنبلي، رضي الدين. (1982). در الحبيب في تاريخ أعيان حلب. منشورات وزارة الثقافة. دمشق.
- 35- الخازن، علاء الدين. (1415هـ). تفسير الخازن - لباب التأويل في معاني التنزيل. دار الكتب العلمية. بيروت.
- 36- الخضري، محمد. (2004). نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. ط1. دار المعرفة. بيروت.
- 37- الخفاجي، شهاب الدين. (2015). خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا. ط1. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق.
- 38- الخفاجي، شهاب الدين. (د.ت). ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا. مطبعة عيسى البابي الحلبي. القاهرة.
- 39- الدميري، كمال الدين. (1969). حياة الحيوان الكبرى. ط4. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.
- 40- الذهبي، محمد بن أحمد. (1985). سير أعلام النبلاء. ط3. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- 41- الراغب، الحسين بن محمد. (2012). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. ط3. دار صادر. بيروت.

رسالة إحكام الإشعار بأحكام الأشعار لمحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت971هـ)

- 42- ابن رشيد، محمد بن عمر. (1988). ملء العيبة بما جمع بطيب الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت.
- 43- ابن رشيقي، أبو علي الحسن. (1988). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ط1. دار المعرفة، بيروت.
- 44- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. ط1. دار صادر. بيروت.
- 45- الرماني، علي بن عيسى. (2008). النكت في إعجاز القرآن. ط5. دار المعارف. القاهرة.
- 46- الزبيدي، محمد بن محمد. (1993). تاج العروس من جواهر القاموس. وزارة الإعلام. الكويت.
- 47- الزركشي، بدر الدين. (1970). الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة. ط1. المكتب الإسلامي. بيروت.
- 48- الزركلي، خير الدين. (1999). الأعلام. ط14. دار العلم للملايين. بيروت.
- 49- الزمخشري، جار الله. (1989). القسطاس في علم العروض. ط2. مكتبة المعارف. بيروت.
- 50- سبط ابن الجوزي، شمس الدين. (2013). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.
- 51- السراج القارئ، جعفر بن أحمد. (1980). مصارع العشاق. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت.
- 52- السمرقندي، نصر بن محمد. (1925). بستان العارفين (على هامش تنبيه الغافلين). مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- 53- السهيلي، عبد الرحمن. (1973). الروض الأثف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. مؤسسة مختار ومكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.
- 54- السيوطي، جلال الدين. (د.ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ط3. دار الحرم للتراث. القاهرة.
- 55- السيوطي، جلال الدين. (د.ت). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. المكتبة التوفيقية. القاهرة.

- 56- الشافعي، محمد بن إدريس. (1988). ديوان الإمام الشافعي المُسمَّى الجواهر النَّفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير. القاهرة.
- 57- الشنتمري، الأعم. (1975). شرح ديوان طرفة بن العبد. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق.
- 58- الصفار، ابتسام مرهون. (2002). الجامع للرسائل والأطاريح في الجامعات العراقية لجميع التخصصات 1388هـ-1421هـ/1967-2000م. ط1. سلسلة إصدارات الحكمة. بريطانيا- ليدز.
- 59- صالح، نهاد حسوبي. (1982). جهود ابن الحنبلي اللغوية مع تحقيق كتاب عقد الخلاص في نقد كلام الخواص. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة بغداد. العراق.
- 60- صالح، نهاد حسوبي. (1985). "رسالة في المتصل والمنفصل (ابن الحنبلي)". مجلة المورد العراقية: 14 (1). بغداد: 77-84.
- 61- صالحية، محمد عيسى. (1993). المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع. معهد المخطوطات العربية. القاهرة.
- 62- الصفدي، صلاح الدين. (1991). الوافي بالوفيات. ط2، دار النشر فرانز شتاينر. شتوتغارت.
- 63- الطباخ، محمد راغب. (1988). إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. ط2. دار القلم العربي. حلب.
- 64- الطبري، محمد بن جرير. (د.ت). تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار. مطبعة المدني. القاهرة.
- 65- ابن عدياء، السموأل. (1964). ديوانا عروة بن الورد والسموأل. دار صادر. بيروت.
- 66- عباس، إحسان. (1962). شرح ديوان ليبيد بن ربيعة العامري. وزارة الإعلام. سلسلة التراث العربي. الكويت.
- 67- العاني، سامي مكي. (1983). الإسلام والشعر. مطابع الرسالة. الكويت.
- 68- ابن العبد، طرفة. (د.ت). الديوان. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
- 69- ابن عبد ربه، أحمد. (1948). العقد الفريد. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.

رسالة إحكام الإشعار بأحكام الأشعار لمحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت971هـ)

- 70- العلوجي، عبد الحميد. (1992). مؤلفات ابن الجوزي. ط1، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق. الكويت.
- 71- العلوي، المظفر. (1995). نصرة الإغريض في نصرة القريض. ط2. دار صادر. بيروت.
- 72- ابن العماد، عبد الحي. (1979). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ط2. دار المسيرة. بيروت.
- 73- عمارة، إخلص. (1992). الإسلام والشعر: دراسة موضوعية. مكتبة الآداب. القاهرة.
- 74- العيني، بدر الدين. (1972). عمدة القاري في شرح صحيح البخاري. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة.
- 75- العيني، بدر الدين. (د.ت). شرح الشواهد الكبرى (الألفية). مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية. فيصل عيسى البابي الحلبي. القاهرة.
- 76- الغزي، نجم الدين. (1979). الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. ط2. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت.
- 77- فروخ، عمر. (1985). معالم الأدب العربي في العصر الحديث. ط1. دار العلم للملايين. بيروت.
- 78- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2009). القاموس المحيط. ط1، المكتبة العصرية، صيدا.
- 79- قصَّاب، وليد. (1988). ديوان عبد الله بن رواحة، ودراسة في سيرته وشعره. ط2. دار الضياء. عمان.
- 80- كحالة، عمر رضا. (د.ت). معجم المؤلفين. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- 81- الكرمانلي، شمس الدين. (1356هـ). شرح صحيح البخاري. ط1. المطبعة المصرية. القاهرة.
- 82- الكرمانلي، محمود بن حمزة. لباب التفاسير - مخطوط في مكتبة تشستر بيتي برقم (4147)، دبلن-إيرلندا.
- 83- المحبي، محمد أمين. (1284هـ). خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. دار صادر، بيروت.

- 84-المحصن، عبد الجواد. (2004). الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء في مصادر الحديث والسيرة والأدب. دار ناصيف. دمشق.
- 85-ابن منقذ، أسامة. (1960). البدیع فی نقد الشعر. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.
- 86-الميمني، عبد العزيز. (1950). ديوان سحيم عبد بني الحساس. دار الكتب المصرية. القاهرة
- 87-ناصر الدين، أبو عبد الرحمن محمد. (1422هـ). الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب. ط1. غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان. الكويت.
- 88-النويري، شهاب الدين. (2004). نهاية الأرب في فنون الأدب. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.
- 89-ابن هشام، جمال الدين. (1996). شرح قصيدة بانث سعاد. ط1. المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.
- 90-اليحصبي، عياض بن موسى. (2002). الشفا بتعريف حقوق المصطفى. دار الفكر. دمشق.
- 91-يعقوب، إميل. (1991). المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.
- 92-اليوسي، الحسن. (1982). المحاضرات في الأدب واللغة. دار الغرب الإسلامي. بيروت.